روايات
مصرية للجيب

ملف المستقبل
سرى جدا!؟

٨٨

الانفجار الحى

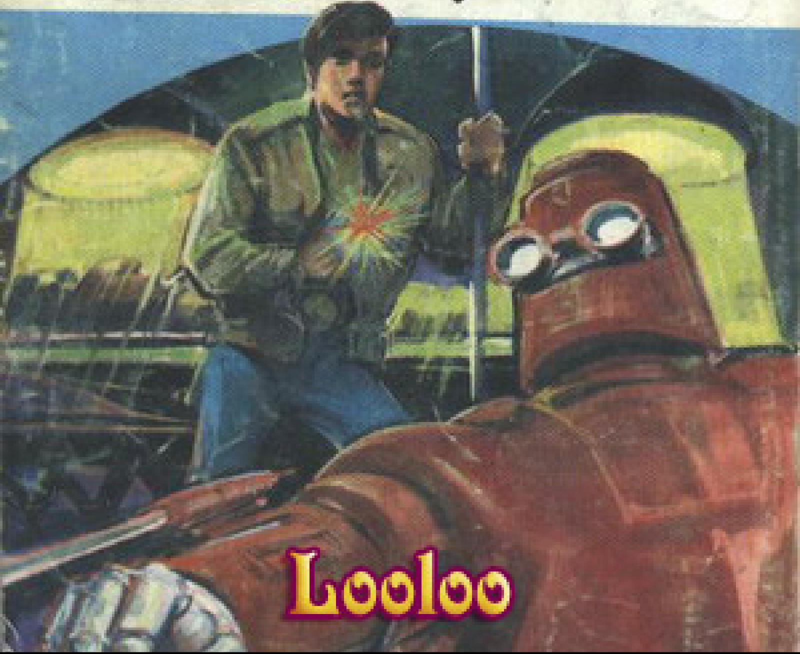

Looloo

www.helmelarab.net

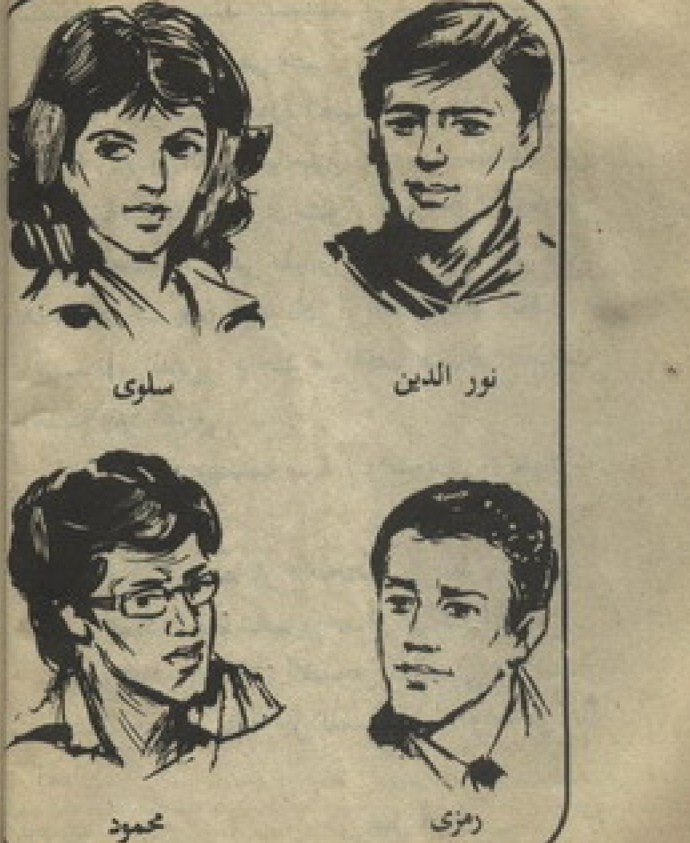

١ ـ الخطر ..

بدا المستشفى المركزى فى ذلك اليوم ، من أيام القرن الحادى والعشرين ، هادئًا ، يسير العمل فيه بوتيرة ثابتة ، وممراته شبه خالية ، لا يعبرها سوى طبيب يتجه إلى قسم المرضى ، أو حجرة العمليات الجراحية ، أو ممرضة تدفع أمامها مريضًا مقعدًا ، أو رجل أمن يتفقد المكان ..

وكان من العسير تصوّر ما يحدث داخل بعض حجرات هذا المستشفى ..

أو حتى معرفة السبب فيما يحدث ..

وهذا السبب لم يكن مرحليًا أو عشوائيًا ..

إنه نتاج عملية بحث غامضة وعجيبة ، بدأت منذ يومين فحسب ، عندما اقتحم آلى مخيف مخزن الإليكترونيات الرئيسى ، وقتل حرّاسه الأربعة ، ثم استولى على عدد من الأجهزة الإليكترونية ، واختفى ..

وعندما بدأ (نور) وفريقه التحقيق فى الأمر ، بدا لهم الموقف كله غامضًا ومخيفًا ، وخاصة بعد أن بدأ الآلى هجومه الثانى ، بعد ساعات قلائل ، واقتحم شبكة (أنباء الفيديو) ، وكاد يقتل (مشيرة محفوظ) ، التى أصابها انهيار عصبى حاد ..

وتوتر الموقف أكثر ، مع الهجوم الثالث ، الذى ضاعف فيه

الآلى قوته ، واستولى على أحدث حزام طيران متطوّر ، ثم استخدمه مع قدراته الأخرى ، لمباغتة مخزن الأسلحة الخاص بوزارة الدفاع ، والاستيلاء على عدد من أسلحة الليزر المتطوّرة ، والقنابل ، و ..

وقنبلة نووية خاصة ..

وهنا انكشف سر الانهيار العصبى ، الذى أصاب (مشيرة)

لقد تعرّفت عينى الآلى البشريتين ..

وكانتا عينى (أكرم) ..

ومع المفاجأة المدهشة ، انتقل الفريق كله إلى المستشفى ، لرؤية (أكرم) الفاقد الوعى ، والذى يرقد فى حجرة العناية المركّزة ، وأكّدت الدكتورة (جيهان) ، المشرفة على علاجه ، وخطيبها الدكتور (هيثم) إخصائى الأمراض النفسية ، أن (أكرم) يرقد فى غيبوبة حقيقية ، كما تشير الأجهزة المتصلة بجسده ..

ولكن (نور) توصّل إلى حقيقة جديدة ..

لقد حاولت الدكتورة (جيهان) إحياء مشروع جديد ، يعتمد على تحويل (أكرم) إلى شخص نصف آلى ..

وعاد (نور) إلى المستشفى ، ليكتشف هذا الأمر ، والتقى بمدير مخازن المستشفى (وليد سالم) ، الذى حاول منع (نور) من كشف الأمر ، ثم تفجّر بثورة جنونية ، عندما كشف (نور) أن شخصًا ما قد استولى على كل أدوات المشروع ، ومن ثورته انقض على (نور) ..

وكان صراعًا عنيفًا ..

وفى الوقت نفسه كانت (نشوى) قد توصلت إلى نظرية جديدة ، قد تثبت أن (أكرم) هو نفسه ذلك الشخص ، نصف الآلى ، على الرغم مما تشير إليه الأجهزة كلها ، من كونه فى غيبوبة عميقة ..

واصطحبت (نشوى) (رمزى) و (محمود) إلى المستشفى ، ونجحت فى إثبات جزء من نظريتها ، عندما فوجئ الثلاثة باختفاء (أكرم) من سريره ..

ثم ظهر الآلى فجأة ..

وبعد صراع قصير وعنيف ، سقط الثلاثة أمام الآلى ، وشاهده (رمزى) يستعد لإطلاق أشعة الليزر القاتلة نحو (نشوى) ..

وفى لحظة واحدة تقريبًا كان (وليد) يصوّب مسدسه الليزرى إلى رأس (نور) ، فى ثورة وجنون عارمين ، والآلى يصوّب مدفعه الليزرى ، المثبت فى ذراعه نحو (نشوى) ..

ولم يكن هناك مفر من الموت(*) ..

* * *

شعر (نور) بتوتر بالغ ، وهو يواجه المسدس الليزرى ، الذى يصوّبه إليه (وليد) ، وحاول تخليص نفسه من تلك الأسلاك ، التى كبّلت حركته ، فى حين صاح (وليد) بعينين زائغتين ، وهو يسيل منه زبد جنونى :

ـ ستموت .. ستموت ..

وبدا لـ (نور) أنه ما من أمل فى النجاة هذه المرة ..

لولا ما حدث ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (نصف آلى) .. المغامرة رقم (٨٢) .

لقد اقتحم رجلان من رجال الأمن الحجرة ، وصاح أحدهم فى دهشة :

ـ أستاذ (وليد) .. ماذا يحدث هنا ؟ !

استدار إليه (وليد) فى حركة سريعة ، وأطلق زمجرة مخيفة ، قبل أن يندفع خيط الليزر القاتل من مسدسه ، ويخترق صدر الحارس ، الذى ارتطم بالباب فى عنف ، وتفجرت الدماء من جرحه ، فاستل الحارس الثانى مسدسه الليزرى بسرعة ، وصرخ (نور) فى اللحظة نفسها :

ـ لا .. لا تقتله .

ولكن (وليد) أدار فوهة مسدسه نحو الحارس الثانى ، وهو يطلق زمجرة رهيبة مخيفة ..

وهنا أطلق الحارس مسدسه الليزرى .. .

أطلق مرة ، وثانية ، وثالثة ، مع صرخات (نور) :

ـ توقف .. لا تقتله .

ولكن خيوط الأشعة الثلاثة اخترقت رأس (وليد) وقلبه وصدره ..

ودار الرجل حول نفسه ، مطلقًا صرخة مدوية ، ثم سقط فوق جسد (نور) جثة هامدة ..

وللثوان ران صمت عجيب على الحجرة ، والحارس يحدق فى جثة (وليد) ، وذلك المزيج من الذعر والدهشة لم يفارقه بعد ، فى حين خلص (نور) ذراعه من الأسلاك ، ودفع جثة (وليد) ، وهو يهتف محنقًا .

ـ لقد قتلته يا رجل .

ارتبك الحارس فى شدة ، وهو يقول :

ـ لم يترك لى الفرصة يا سيدى .. لقد رأيت كل شىء بنفسك .

قال (نور) فى مرارة :

ـ هذا لا يمنحك الحق فى قتله يا رجل .. أطلق الأشعة على قدميه أو ساقيه ، أو على كفيه ، ولكن لا تلجأ إلى قتله دون تفكير .

قال الحارس وقد تضاعف ارتباكه :

ـ لم يكن هذا سهلًا يا سيدى .. لقد سمعت أنا وصديقى دويًا عنيفًا ، داخل الحجرة ، فأسرعنا إلى هنا ، وشاهدنا الأستاذ (وليد) يصوب إليك مسدسه ، ثم فوجئنا به يطلق أشعته على زميلى ، ولم يكن من الممكن ، بعد كل هذا ألا أدافع عن نفسى ، وهو يطلق هذه الزمجرة المخيفة ، ويحاول قتلى .

زفر (نور) فى حدة ، قائلًا :

ـ إنه القدر إذن .

ثم أضاف مشيرًا إلى الحارس الملقى أرضًا :

ـ أسرع بطلب طاقم الإسعاف إذن ، فربما كان زميلك على قيد الحياة .

هتف الحارس :

ـ أنت على حق .

وأسرع يطلب طاقم الإسعاف ، وقبل أن ينتهى من محادثته الهاتفية معهم ، دوى فى المكان صوت صفارة إنذار ، وصدر أزيز متقطع من جهاز صغير ، يحمله الحارس فى حزامه ، فهتف فى توتر ودهشة :

ـ ماذا يحدث فى المستشفى اليوم ؟ ! هناك طوارئ فى قسم العناية المركزة !

هتف (نور) :

ـ العناية المركزة ؟ !

نطقها واندفع بكل سرعته نحو قسم العناية المركزة ، وهو يشعر فى أعماقه أن هذه الطوارئ تتعلق بالقضية نفسها .. قضية الآلى ..

* * *

مع كل عجزه وألمه ومرارته ، أطلق (رمزى) شهقة قوية ، امتزجت بالصرخة المدوية ، التى انطلقت من حلق (نشوى) ، عندما أطلق الآلى حزمة أشعة الليزر القاتلة نحوها ، وهى ترفع ذراعيها بحركة غريزية ، لتحمى وجهها وصدرها ..

ولكن الأشعة لم تصب ذرة واحدة من جسدها ..

لقد تجاوزتها بسنتيمترات قليلة ، وهوت على النافذة الزجاجية السميكة ، أو بمعنى أدق على إطارها المعدنى ، فنسفته نسفًا ، وانفجر الزجاج نفسه فى عنف ، وتناثرت شظاياه فى الحجرة كلها ، وسقطت على رأس (رمزى) ، الذى حمى رأسه بذراعيه ، وهو يصرخ :

ـ (نشوى) .. (نشوى) .

واختلطت صرخته بدوى الإنذار ، الذى ملأ الحجرة والمكان كله ، فور تحطم الزجاج ، وسمع (نشوى) تصرخ وتصرخ ..

وأمام عينيه الزائغتين ، رأى (نشوى) تسقط فاقدة الوعى ، والآلى يلتصق مرة أخرى بالحائط ، ثم يتلون جسده فى سرعة ، فيصعب تمييزه عن الحائط ، و ..

ويختفى ..

ومع اختفائه أظلمت الدنيا أمام عينى (رمزى) ..

وشارك (نشوى) غيبوبتها ..

ولم تمض لحظات ، حتى اقتحم (نور) الحجرة ، مع رجال الأمن ، وهتف فى انزعاج :

ـ (نشوى) .. (رمزى) .. (محمود) .. ما الذى جاء بهما إلى هنا ؟ !

انحنى يفحصهم فى جزع ، وترك رجال الأمن يفحصون النافذة المحطمة ، فى حين وصلت (جيهان) وشهقت فى هلع ، وهى تنظر إلى كل ما أصاب الحجرة من الدمار ، وصاحت فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! .. لقد تحطم كل شىء .. إنهم يقتلون المريض .

لحق بها فريق من الأطباء بعد لحظات ، واستعادت (نشوى) وعيها نسبيًا ، فغمغمت بين ذراعى والدها :

ـ (أكرم) ! (أكرم) ..

سألها فى جزع :

ـ ماذا به يا (نشوى) ؟ .. ماذا تقصدين بذكر اسمه ؟

تشبثت بذراعه لتنهض ، وهى تقول :

ـ كل هذا كان مجرد خدعة .. (أكرم) هو المسئول .. لقد كشف نفسه .

أدار (نور) عينيه فى دهشة إلى فراش (أكرم) ، الذى التف حوله طاقم الأطباء ، وقال :

ـ كيف يا (نشوى) ؟

أشارت إلى الفراش ، هاتفة :

ـ لقد هرب ، و ..

بترت عبارتها ، وهى تحدق فى الفراش ذاهلة ..

لقد كان (أكرم) هناك ..

فى غيبوبة عميقة .

* * *

٢ ـ الخسارة..

استمعت الدكتورة (جيهان) إلى حديث (نشوى) و (رمزى) فى اهتمام وحيرة ، ثم لم تلبث أن هزت رأسها ، قائلة :

ـ لا شك أن هذا أمر مثير للدهشة والحيرة معًا ، ومن المؤكد أنكما رأيتما الفراش خاليا بالفعل ، أو أنكما تؤمنان بهذا تمامًا ، ولكن طاقم الأطباء كله يجزم بأن (أكرم) فاقد الوعى بالفعل ، كما أن مهندسى الصيانة فحصوا برنامج الكمبيوتر جيدًا ، ويؤكدون أنه لا يتدخل فى عمل أجهزة الفحص الحيوى مطلقًا .

هتفت (نشوى) :

ـ مستحيل ! .. لقد فحصت البرنامج بنفسى ، وكلنا رأينا فراش (أكرم) خاليا .

قال (رمزى) فى خفوت :

ـ هذا صحيح .

عادت الدكتورة (جيهان) تهز رأسها ، وهى تقول :

ـ ولكن لا حاجة مطلقًا إلى وجود برنامج كمبيوتر خاص ، فـ(أكرم) فاقد الوعى بالفعل ، ولقد تم نقله إلى حجرة عناية مركزة أخرى ، بعد الدمار الذى أصاب حجرته ، ومع عملية النقل هذه ، قام فريق الأطباء كله بإعادة فحصه ، للاطمئنان على حالته ، وجاءت نتيجة الفحص لتؤكد عدم قدرته على استعادة وعيه فى الوقت الحالى .

تبادل (نور) نظرة حائرة ، مع (نشوى) و (رمزى) ، ثم قال فى حزم :

ـ وعلى الرغم من هذا فقد أصيب (محمود) ، فى قتاله مع لك الآلى ، وحاول مدير المخازن هنا قتلى ، وكاد ينجح فى هذا ، ولا وصول رجال الأمن ، ثم اختفى الآلى داخل المستشفى ، كما و كان قد تبخر .

قالت (جيهان) فى ضيق :

ـ إصابة زميلكم بسيطة ، وسيتعافى بعد يومين على الأكثر ، وهذا الآلى لم يمكنكم منعه من الفرار ، من مخازن وزارة الدفاع ، فمن الطبيعى إذن أن ينجح فى الهروب من مستشفى عادى ، أما ما يقلقنى بالفعل ، فهو موقف (وليد) ، فلم أتخيله أبدًا عنيفًا قاسيا وحشيًا ، إلى الحد الذى وصفته أيها الرائد .

سألها (نور) :

ـ هل كان دائما هادئا سويا ؟

هزت رأسها نفيا ، وهى تقول :

ـ لا ! .. لم يكن كذلك .

مط (هيثم) شفتيه ، وقال فى ازدراء :

ـ كان حقيرا .

رمقته (جيهان) بنظرة غاضبة ، قبل أن تواصل :

ـ كان دائما سخيفا ، باردا ، يفتقر إلى الذوق واللياقة ، ويتباهى بقوته البدنية ، وعضلاته المفتولة .

التفت (نور) إلى (هيثم) وسأله :

ـ وهل تبغض أنت أصحاب السواعد المفتولة ؟

هزّ (هيثم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا ، ولكننى أكره الرجل الوقح ، الذى يغازل النساء دون أدب أو لباقة .

قال (جيهان) فى عصبية :

ـ كفى يا (هيثم) .

ثم أضافت موجّهة حديثها إلى (نور) :

ـ لقد كان (وليد) يغازلنى علانية ، وهذا ما جعل (هيثم) يكرهه .

لوّح (هيثم) بذراعه ، هاتفًا :

ـ إنه لا يستحق حتى أن أكرهه .. إنه مجنون متخلّف همجى .. لقد أردت فصله ، فى أثناء الفحص النفسى السنوى ، عندما كشفت ساديته وعدوانيته ، ولكننى خشيت أن يتهموننى بالتعسّف معه ، بعد موقفه معك .

قال (نور) فى مرارة :

ـ ليتك فعلت ، قبل أن يستولى على أدوات مشروع (سيبورج) ، التى نجهل تمامًا من حصل عليها ، واستغلها فى صنع ذلك الآلى ، أو الذى شبه الآلى ، الذى يسبّب لنا كل هذه المتاعب .

قالت (نشوى) :

ـ ولكن المؤكد أن (وليد) لم يكن ذلك الآلى ، أو نصف الآلى ، فقد قتله حارس الأمن ، فى نفس اللحظة التى كان الآلى يهاجمنا فيها .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .

ثم التقى حاجباه ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ ولكننا لم نفحص الحجرة المحطمة بعد ، وربما يسفر فحصها عن مفاجأة جديدة .

وأدار عينيه فى وجوه الجميع ، قبل أن يكرّر :

ـ ربما ! ..

* * *

استغرق فحص الحجرة المحطمة وقتًا أطول مما توقّع الجميع بكثير ، فقد أصرّ (نور) على فحص كل ذرة فيها ، والتقاط عشرات الصور الهولوجرافية والضوئية ، من كل الزوايا الممكنة ، قبل أن يمس أى مخلوق أى شىء بالحجرة ..

وبعد حوالى ساعة كاملة ، تنفس خبير المعمل الجنائى الصعداء ، وهو يقول :

ـ لا توجد أى آثار للآلى أيها الرائد ، فيماَ عدا آثار أقدامه المعدنية الثقيلة ، عندما كان يلتصق بالحائط .

سأله (نور) فى أهتمام :

ـ وماذا عن الاطار المحطم ؟

قال الرجل :

ـ أتقصد إطار النافذة الزجاجية ، التى تربط ما بين ..

قاطعه (نور) فى أهتمام :

ـ نعم ! .. هذا ما أقصده بالضبط .

هز الرجل رأسه ، وهو يقول فى حيرة :

- لماذا تثير النافذة وإطارها اهتمامك ، إلى هذا الحد ؟! إنها المرة الثالثة ، التى تسأل فيها عنها ، وعن نتائج فحصها

بدا شىء من الصرامة على وجه (نور) ، وهو يجيب :

- لقد أطلق ذلك الآلى أشعته على إطار النافذة ، وحطمه ، دو أن يكون هناك مبرر عملى لهذا ، مما يوحى بأنه كان يسع لتحطيم شىء ما يتصل بها ، أو يلتصق بإطارها ، وهذا الشى حتمًا يكشف بعض أسراره .

تنهد الرجل ، قائلاً :

- أفكارك دائمًا عجيبة أيها الرائد ، ولكن لا يمكننى أن أقو أنك واهم أو خيالى ، فتاريخك كله يثبت عكس هذا تمامًا ، ولكنن فى الوقت نفسه أعجز عن إجابة سؤالك ، فالمكان يكتظ بقط إلكترونية صغيرة محطمة ، تنتشر فى كل مكان ، ومن المستحي أن أحدد ما الذى ينتمى إلى الأجهزة المحطمة من غيره .

قال (نور) :

- أنت على حق ! .. هذا يحتاج إلى خبراء .

وشرد ببصره لحظة ، قبل أن يتابع فى حزم :

- خبراء من نوع خاص ..

* * *

ارتفع حاجبا (سلوى) فى دهشة ، وهى تحدق فى كومة

الأجهزة الإلكترونية المحطمة ، قبل أن تهتف :

- أى مطلب هذا يا (نور) ؟! .. هل تريد منا إعادة هذا الحطام للعمل ؟

هز (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- لم أطلب هذا يا (سلوى) ، وإنما أريد منكم أن تجمعوا القطع والأجزاء الخاصة بكل جهاز على حدة ! .. وبمنتهى الدقة والاهتمام ، بحيث يمكن حصر أية أجزاء إضافية ، يحتمل وجودها وسط هذا الحطام .

سألته (نشوى) فى اهتمام :

- وما الغرض من هذا ؟

صمت لحظة قبل أن يجيب :

- أريد التيقن من أنه لم تكن توجد سوى الأجهزة الرسمية ، فى حجرة (أكرم) .

أدركت (نشوى) غرضه على الفور ، فهتفت فى حماس :

- فكرة رائعة .

أضافت (سلوى) :

- ولكنها تحتاج إلى أسبوع كامل على الأقل .

أجابها (نور) فى حزم :

- ولكننى أطلب النتائج بعد يومين على الأكثر ، ولا يمكننى الثقة بسواكم :

هتفت (سلوى) :

- يومان ؟! .. مستحيل يا (نور) ..

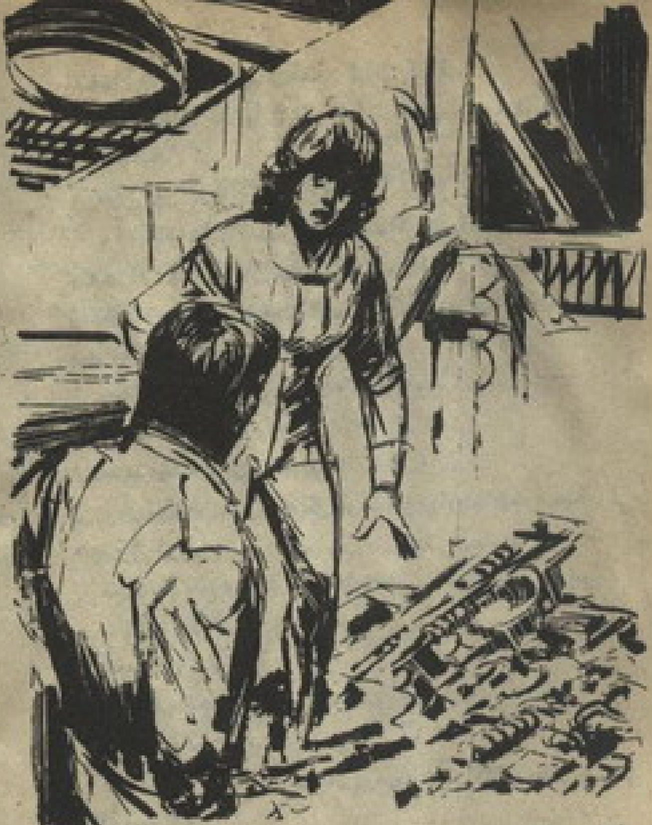

ارتفع حاجبا (سلوى) فى دهشة ، وهى تحدّق فى كومة الأجهزة الإلكترونية المحطّمة ، قبل أن تهتف :

ـ أى مطلب هذا يا (نور) ..

ربت (نور) على كتفها ، قائلاً :

ـ ابذلى أقصى طاقتك إذن يا عزيزتى ، لتحقيق هذا المستحيل ..

قالت فى اعتراض :

ـ أنا بشر يا (نور) .

هتفت (نشوى) :

ـ سنعمل معًا يا أماه ؛ وهذا يختصر الأسبوع إلى النصف .

قالت فى حزم :

ـ ما زلنا نحتاج إلى المزيد .. لا يمكن توزيع هذا العمل الشاق على فردين .

أتاها صوت أكثر حزمًا ، يقول :

ـ بل ثلاثة يا (سلوى) .

التفت الجميع إلى باب الحجرة ، حيث يأتى الصوت ، وهتفت (رمزى) :

ـ (محمود) ؟! .. كيف غادرت المستشفى ، قبل أن ..

قاطعه (محمود) :

ـ أنا بخير يا (رمزى) .

ثم أردف فى حسم :

ـ والعمل هنا يحتاج إلى خبراتى ! .. وإلا فما فائدتى للفريق ؟

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يربت (نور) على كتفه ، قائلاً بابتسامة هادئة :

ـ مرحبًا بك يا صديقى .

تبادل معه (محمود) نظرة تفيض بالمودة ، ثم اتجه إلى حيث كومة الإلكترونيات ، وقال فى هدوء :

- حسنًا ! .. متى نبدأ العمل ؟

اتجهت إليه (نشوى) ، وابتسمت قائلة :

- الآن ! .. ليس لدينا وقت أكثر .

وبدأ العمل على الفور ..

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة مساء ، عندما نهض الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، من خلف مكتبه ، ليصافح (نور) ، قائلاً :

- (نور) ! .. كيف حالك يا ولدى ؟ ! .. كنت أتوقع حضورك حتمًا .

قال (نور) بابتسامة خفيفة :

- أنت تعلم أننى لا أستطيع عادة انتظار التقرير الرسمى .

قال الدكتور (حجازى) :

- أعلم هذا بالطبع ! .. وأنا لم أكتب التقرير الرسمى بعد ، وإن كنت قد انتهيت من فحص وتشريح جثة مدير المخازن ، التى وصلتنى هذا الصباح .

سأله (نور) فى اهتمام شديد :

- وما الذى وجدته يا دكتور (حجازى) ؟

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

- لا شىء .

تطلع إليه (نور) فى دهشة ، فاستدرك فى سرعة :

- أقصد أننى لم أجد سوى الأشياء الطبيعية ، إصابات الليزر والكدمات الناشئة عن قتالك معه ، ولا شىء أكثر من هذا .

مال (نور) نحوه ، يسأله فى اهتمام :

- هل فحصت عقله ؟ ! .. أعنى هل فحصت مخه جيدًا ؟

أجاب الدكتور (حجازى) سؤاله بسؤال آخر ، وهو يقول :

- وما الذى يقلقك بشأن مخه .

اعتدل (نور) ، وبدت على وجهه علامات التفكير لحظة ، قبل أن يجيب :

- أظن أن الرجل لم يكن طبيعيًا ، عندما قاتلنى بكل هذه الشراسة ! .. كانت نظراته زائغة ، ووحشيته غير طبيعية ، و ..

قاطعه الدكتور (حجازى) :

- وما الذى تتوقع أن أجده فى مخه ، عندما يفعل كل هذا ؟

صمت (نور) لحظة أخرى ، قبل أن يقول :

- دكتور (حجازى) ! .. هل تذكر قضية (رءوف عامر)(*) ؟

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالطبع ! .. إنه ذلك العالم ، الذى سيطر على عقول ضحاياه ، بوساطة جراحة دقيقة ، و ..

بتر عبارته بغتة ، ليهتف :

(*) راجع قصة (مثلث الغموض) .. المغامرة رقم (١٥)

- (نور) ! .. هل تتصوَّر هذا حقًّا ؟

أجابه (نور) :

- ولِمَ لا يا دكتور (حجازى) ؟! .. إننا مرة أخرى أمام شخص يقوم بعمل جنونى مباغت ، على نحو يوحى بأن شخصًا ما يسيطر على عقله ، ويدفعه للقيام بهذا .. وذلك الشخص هو نفسه الذى جعله يعطيه أدوات مشروع (سيبورج) ، والذى يلعب الآن دور شخص آلى ، ليصل إلى غرض ما ، لا يعلمه إلا الله (سبحانه وتعالى) .

ظل الدكتور (حجازى) يتطلع إليه لحظة فى دهشة ، ثم قال :

- من المؤسف أنه لن يمكننى فحص المخ ، على النحو الذى تتصوره يا (نور) ، فلم يتم بعد إعادة تصنيع المجاهر الأيونية ، ولا حتى الإلكترونية ، ولكننى لا أوافقك على هذه الفكرة ، فعجز التكنولوجيا ، فى مرحلة إعادة البناء هذه ، ينطبق أيضًا على الوسائل الجراحية ، التى يمكنها المساعدة على إجراء مثل هذه الجراحات الدقيقة .

قال (نور) :

- ربما تمت السيطرة على عقله بوسيلة أخرى .

سأله الدكتور (حجازى) :

- مثل ماذا ؟

تردَّد لحظة ، قبل أن يجيب :

- موجات فائقة القصر مثلاً ، مع جهاز مزروع فى المخيخ ، أو ...

قاطعه الدكتور (حجازى) :

- لقد فحصت المخ والمخيخ يا (نور) ، ولم يكن بهما ما يثير الشك .

ثم تراجع ليسأله فى اهتمام :

- ولكن قل لى : هل فكرت فى أية احتمالات أخرى ؟

بدا (نور) جامدًا لحظة ، ثم أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم .. احتمال واحد ، لو كان صحيحًا ، فسيعنى هذا أن المسئول عن كل جرائم الآلى شخص قريب للغاية من (أكرم) .

سأله الدكتور (حجازى) فى لهفة :

- وما هو هذا الاحتمال ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب :

- التنويم المغناطيسى يا دكتور (حجازى) .. المسئول عن كل هذا شخص يجيد التنويم المغنطيسى ، ويبرع فيه للغاية .. أتعلم من هو ؟

قال الدكتور (حجازى) فى دهشة :

- أتعنى أنه (رمزى) ؟!

هز (نور) رأسه نفيًا ، وأجاب :

- كلا .. إنه ليس (رمزى) ، بل هو شخص آخر .. شخص بعيد عن الشبهات ، تمامًا حتى الآن ..

ثم أخبره اسم ذلك الشخص ..

* * *

(هيثم ؟!؟)

رددت الدكتورة (جيهان) الاسم فى دهشة ، وهى تتطلع إلى خطيبها ، الذى دلف إلى حجرة مكتبها بالمستشفى ، فى خفة وصمت ، ثم استطردت فى حيرة :

- ما الذى أتى بك الآن ؟! .. ألم تقل إنك تشعر بالتعب ، وتحتاج إلى بعض الراحة ؟

اقترب منها وتطلّع إلى عينيها فى حنان ، قائلا :

ـ لم أستطع تركك وحدك .

هتفت فى دهشة :

ـ لماذا ؟ ! .. إننى أعمل دائمًا وحدى .

قال فى رقة ، وهو يملأ عينيه بعينيها الجميلتين :

ـ ليس فى مثل هذه الظروف .

صمتت لحظة ، ثم تنهدت قائلة :

ـ أنت على حق .. على الرغم من وجودى فى قلب المستشفى ، إلا أننى أشعر بالخوف .

تحسس شعرها فى حنان جارف ، قائلاً :

ـ أتشعرين بالخوف وأنا إلى جوارك ؟ !

استكانت للمسات أصابعه على شعرها ، فأسبلت جفنيها ، متمتمة :

ـ وما الذى يمكنك أن تفعله ؟ .. إنك أيضا ..

بترت عبارتها بغتة ، وعضت شفتيها ندمًا ، عندما شعرت بأصابعه تتجمّد على رأسها ، ففتحت عينيها فى سرعة ، ورأت وجهه الممتقع المصدوم ، وأردفت فى ارتباك :

ـ لم أكن أقصد أن ..

أبعد أصابعه عن شعرها فى حركة حادة ، ثم أشاح بوجهه ، متمتمًا فى مرارة :

ـ كم أتمنى لو كنت قويًا ، حتى يمكننى حمايتك والذود عنك .

هتفت فى حنان :

ـ ومن قال أننى أريد وحشًا مفتول الساعدين ؟ ! .. لقد أحببتك كما أنت يا (هيثم) ، ولم ولن أحب سواك ، وأشعر أنك أعظم رجل فى الدنيا ، حتى ولو كنت أنت ترى نفسك كأضعف أهل الأرض .

التفت يتطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يسألها :

ـ أحقًا يا (جيهان) ؟

تحسّست وجنته فى هيام ، متمتمة :

ـ هل تسألنى ؟

غرق كل منهما فى عينى الآخر لحظات ، ثم تراجعت هى فى حياء ، وقالت محاولة تغيير دفة الموقف :

ـ أعتقد أنه ينبغى أن ألقى نظرة على (أكرم) ، فى حجرة العناية المركّزة الجديدة .

وضع يده على كتفها ، قائلاً :

ـ لا عليك أنا آت من هناك على الفور ، وهو بخير حال ، ولقد سألت ممرضته عن تطوّر الحالة ، فقالت إن كل شىء على ما يرام .

ترددت لحظة ، ثم قالت :

ـ ولكن أعتقد أنه من الأفضل أن ألقى نظرة بنفسى .

تراجع قائلاً :

ـ كما يحلو لك .

همّت بالنهوض ، فى نفس اللحظة التى لاحظت فيها ذلك البروز ، بالقرب من الجدار المواجه لمكتبها ..

كان بروزاً له تكوين بشرى ، ولكن يصعب تمييزه فى الحائط ، بلونه وظلاله ، و . .

وفجأة أدركت ما هذا الشىء ..

وأطلقت صرخة مدوية ..

لقد كان الآلى ..

الآلى القاتل .

* * *

٣ - هجوم ..

لم يكد (نور) يتلقى ذلك النداء ، من إدارة المخابرات العلمية ، حتى انطلق بسيارته الصاروخية على الفور ، إلى المستشفى المركزى ، وهناك استقبله الدكتور (ناظم) فى توتر ملحوظ ، وهو يقول :

- إنه هجوم جديد للآلى .

سأله (نور) فى قلق ، وهو يسير إلى جواره فى خطوات سريعة ، عبر أروقة المستشفى :

- هل هاجم حجرة (أكرم) مرة ثانية ؟

أطلق الدكتور (ناظم) زفرة حارة ، قبل أن يجيب :

- بل هاجم الدكتورة (جيهان) ، وخطيبها الدكتور (هيثم) ، ليسرق كل أوراق مشروع (سيبورج) ، وكل الأوراق الخاصة بحالة (أكرم) .

سأله (نور) فى قلق :

- وهل أصاب (جيهان) بمكروه ؟

أجابه وهما يبلغان حجرة (جيهان) :

- كلا ، ولكنه كاد يقتل (هيثم) ؟! .

توقف (نور) بغتة ، وهو يهتف .

- كاد يقتل (هيثم) ؟!

توقف الدكتور (ناظم) بدوره ، وقال فى حيرة :

- نعم .. كاد يقتله .. ما الذى يدهشك فى هذا ؟

تجمّد (نور) لحظات ، وبدا وكأنه يسبح بعيدًا بذهنه ، قبل أن يغمغم :

- إنه لا يدهشنى فحسب ، ولكن يربك أفكارى كلها .

سأله الدكتور (ناظم) فى دهشة :

- لماذا ؟

هزّ رأسه ، قائلاً :

- لا شىء .. كانت فكرة سخيفة فحسب .

قالها ودفع باب حجرة (جيهان) ، ووقف يتطلع إلى الطبيبة الشابة ، التى تجلس شبه منهارة ، خلف مكتبها ، فى حين استسلم (هيثم) تمامًا لأحد رجال الإسعاف ، الذى راح يحيط ذراعه اليسرى بالضمادات فى حرص ، وفى الوقت ذاته كانت خزانة المعلومات محطمة تمامًا ، وكل أسطوانات الليزر بها محطمة ، تفرش أرضية الحجرة ..

ورفع (هيثم) عينيه إلى (نور) فى صمت ، وبوجه شاحب ممتقع ، فى حين هتفت (جيهان) :

- (نور) .. هل رأيت ما فعله بنا ذلك الآلى ، أيها الرائد (نور) .

سألها (نور) فى اهتمام :

- ماذا حدث بالضبط يا دكتورة (جيهان) ؟

لوّحت بكفيها فى هلع ، قبل أن تجيب :

- لقد هاجمنا ذلك الآلى .. كنت أجلس مع (هيثم) هنا ، عندما فوجئنا به عند الحائط .. لم يمكننى تمييزه فى البداية ، ولكنه

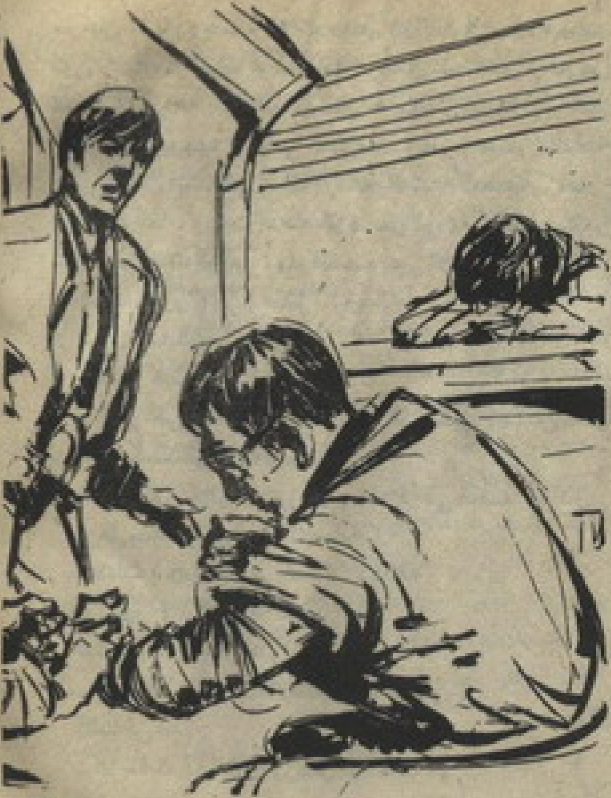

فى حين استسلم (هيثم) تمامًا لأحد رجال الإسعاف ، الذى راح يحيط ذراعه اليسرى بالضمادات فى حرص ..

سرعان ما بدا واضحا ، واتجه نحو الخزانة فى بطء مخيف ، دون أن يعيرنا انتباها أو اهتماما ، وأطلق أشعته من مدفع ليزر صغير فى ذراعه ، فنسف قفل الخزانة ، وصرخت أنا فى رعب ، فالتفت إلىّ بوجهه المعدنى المخيف ، وهبّ (هيثم) للدفاع عنى ، ولكن ذلك الآلى أمسك ذراعه بأصابعه المعدنية ، فصرخ (هيثم) ألما ، ورأيت الدماء تنزف من ذراعه ، فصرخت مرة ثالثة ، ثم فقدت الوعى ، ولم أستعد وعيى إلا من دقائق قليلة .

التفت (نور) إلى (هيثم) ، وسأله :

- هل أصابك بسوء ؟

أجابه (هيثم) فى ألم :

- إننى على قيد الحياة ، وهذا يعنى أننى بخير ، أما عن إصابة ذراعى ، فستشفى قريبًا بإذن الله .

تطلّع (نور) إلى ذراع (هيثم) لحظة فى صمت ، ثم قال :

- هل يمكننى رؤية هذه الإصابة ؟

اعتدلت (جيهان) فى مقعدها ، هاتفة :

- (نور) ؟! .. ماذا تقول ؟

أجابها (نور) فى هدوء :

- أريد فقط رؤية هذه الإصابة يا (جيهان) .

قالت فى حدة :

- ألا تكفيك شهادتنا ، ورجال الإسعاف ، و ..

قاطعها (هيثم) فى حزم :

- هذا حقه يا (جيهان) .

بدا الغضب على وجهها ، ولكنه استدرك :

- من الطبيعى أن يحتاج سيادة الرائد رؤية الإصابة ، فقد يرشده شكلها أو مكانها إلى شىء ما ، يعاونه على الإيقاع بذلك الآلى .

وأزاح رجل الإسعاف فى هدوء ، ثم نزع الضمادات عن ذراعه ، وفردها أمام عينى (نور) ، قائلاً :

- ها هى ذى أيها الرائد .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يتطلع إلى الإصابة الواضحة ..

كانت الأصابع المعدنية الخمسة قد غاصت فى لحم ذراع (هيثم) ، وصنعت خمسة جروح واضحة فيها ، لا تقبل الشك ..

وفى صمت ، رفع (نور) رأسه ، وتطلّع أمامه فى شرود ..

كان من الواضح أن شيئًا ما يربكه ، ويثير حيرته فى شدة ..

ولكن هذا الأمر لم يطل ..

لقد عاد إلى طبيعته فى سرعة ، وقال :

- هل فعل الآلى هذا وانصرف على الفور ؟

أجابه (هيثم) ، ورجل الإسعاف يعيد تضميد جرحه :

- لقد جذبنى فى عنف ، ثم دفعنى بكل قوته ، فسقطت أرضًا ، وفقدت الوعى ، ولم أفق إلا والحجرة على ما هى عليه ، ولا أثر للآلى .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، ثم التفت إلى الدكتور (ناظم) ، وقال :

- وماذا عن (أكرم) ؟ .. هل هاجم ذلك الآلى حجرته أيضًا ؟

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ كلا .. (أكرم) يرقد حاليًا فى حجرته ، ساكنًا صامتًا ، ولكن ..

سأله (نور) فى قلق :

ـ ولكن ماذا ؟

نقل الدكتور (ناظم) عينيه فى وجوه الجميع ، ثم شد قامته ، وقال فى حزم :

ـ ولكنه لم يكن هناك ، عندما حدث هذا الهجوم .

هتف (نور) فى دهشة :

ـ ماذا تعنى يا دكتور (ناظم) ؟ .. ألا يقف أحد رجال الإدارة لحراسة الحجرة ؟

أشار الدكتور (ناظم) بسبابته ، قائلاً :

ـ وما يزال واقفًا هناك ، وهو يقسم أن (أكرم) لم يغادر الحجرة قط ، ولكن الممرضة تقول : إن (أكرم) غادر فراشه ، وأفقدها الوعى ، و ..

قاطعه (نور) :

ـ أظن أنه من الأفضل أن أستمع إليها بنفسى يا دكتور (ناظم) .

هتفت (جيهان) :

ـ وأنا أيضًا ، فلست أصدق أبدًا أن (أكرم) يستعيد وعيه .

هبت من مقعدها ، وأسرعت معهما إلى حجرة العناية المركزة ، وهناك وقف الثلاثة خلف النافذة الزجاجية السميكة ، يتطلعون إلى (أكرم) ، الذى يرقد فاقد الوعى ، على فراش المرض ، قبل

أن تقول (جيهان) :

ـ قلت لكما مستحيل ! .. مستحيل أن يستعيد وعيه .

ولكن الممرضة ، التى لم تكن قد توقفت عن الارتجاف بعد ، قالت فى ارتياع واضح :

ـ لقد استعاده يا سيدتى .. أقسم لك أنه فعل .. لقد رأيته بنفسى ينهض مغادرًا الفراش .

اقترب منها (نور) ، وقال فى هدوء ، محاولاً تخفيف توترها الشديد :

ـ لا عليك يا سيدتى .. لقد انتهى كل شىء .. هيا .. صفى لى ما حدث بالضبط .

أجابته فى هلع واضح :

ـ كنت هنا ، أراقبه من خلف النافذة ، وأراقب أجهزة المتابعة الحيوية ، عندما حان موعد تركيب المحاليل الجديدة ، وهذه الحجرة ليست مزودة بجهاز استبدال محاليل آلى ، مثل حجرته السابقة ؛ لذا كان من الضرورى أن أنتقل إلى حجرته ، وأستبدل المحلول بنفسى ..

وارتجف صوتها ، مع اتساع عينيها المذعورتين ، وهى تستعيد هذا المشهد ، قائلة :

ـ وعندئذ حدث ما حدث .. لقد فوجئت به ينهض من فراشه ، ويحدق فى وجهى بنظرة باردة قاسية ، فتجمدت فى مكانى ، وتجمدت فى حلقى صرخة رعب ، راحت تتردد فى أعماقى ، وهو

يغادر الفراش ، ويتجه نحوى ، ثم يرفع يده إلى عنقى ، و ... ، و ...

سألها (نور) فى توتر :

ـ هل حاول خنقك ؟

تفجّرت الدموع من عينيها ، وهى تهتف :

ـ كلا .. لست أدرى .. لقد سقطت فاقدة الوعى ، ولست أدرى ما إذا كان قد حاول أم لا .

كان من الواضح أنها صادقة فى كل كلمة نطقت بها ، وفى ذلك الرعب الهائل ، الذى يملأ نفسها ، ويسيل من عبارتها وكلماتها ، فاعتدل (نور) وحيرته تتضاعف وتتضاعف ، وتطلع لحظات فى قلق إلى (أكرم) ، الراقد فى صمت وسكون ، من خلف النافذة الزجاجية السميكة ، ثم لم يلبث أن سأل الممرضة فى اهتمام :

ـ وهل كان الفراش خاليا ، بعد أن نهض (أكرم) ؟

حدقت فى وجهه بدهشة ، قبل أن تسأله :

ـ ماذا يعنى هذا السؤال ؟ .. من الطبيعى أن يكون الفراش خاليا ، بعد أن غادره (أكرم) .

سألها فى هدوء :

ـ هل رأيته بنفسك ؟

بدت أكثر دهشة وحيرة ، وهى تقول :

ـ بالطبع .

ثم ترددت لحظة ، قبل أن تستدرك :

ـ من المؤكد أننى فعلت ، فلو رأيت شيئا على الفراش ، بعد نهوض (أكرم) ، لجذب هذا اهتمامى حتمًا .

قالتها وهتفت :

ـ والآن أرجوكم .. أريد مغادرة هذا المكان .. سيتوقف قلبى عن النبض ، لو بقيت فيه ساعة أخرى .

وتفجرت دموعها ، وهى تستطرد فى مرارة وخوف :

ـ إننى أرتجف كلما تطلعت إليه .. أرجوكم .

ربتت عليها (جيهان) فى إشفاق ، وهى تقول :

ـ لا بأس .. لا بأس .. سأبقى معك حتى تصل زميلتك ، لتتسلم النوبة التالية ، ويمكنك بعدها الانصراف ، والبقاء فى منزلك غدا .. سأعتبرها إجازة عارضة .

غمغم (نور) :

ـ إنها كذلك بالفعل .

ثم عاد يتطلع إلى (أكرم) ، والحيرة فى أعماقه تتضاعف ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

* * *

ـ ولكن هذا مستحيل بالفعل يا (نور) !! ...

قالتها (سلوى) فى حيرة حقيقية ، بعد أن استمعت من أفراد الفريق إلى ما حدث ، على لسان (نور) ، الذى هز رأسه فى

حيرة أكثر ، وهو يجيب :

- ولكن هذا ما حدث يا رفاق .. لقد رويت لكم كل ما سمعته ورأيته ، ولكنني لم أحصل بعد على محاضر التحقيقات الرسمية ، التي يجريها بعض المتخصصين الآن ، ويحاولون خلالها معرفة كل شيء ، مهما بدا بسيطًا ، إلا أن ما تعلمونه الآن يثير الحيرة في نفسي كثيرًا ، حتى أنني أشعر بارتباك حقيقي ، لأوَّل مرة في حياتي ، أمام هذه القضية .

هتف (رمزى) في دهشة :

- أنت ؟ ! . أنت تشعر بحيرة حقيقية يا (نور) ؟ !

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وتنهد قائلاً :

- أنا بشر يا (رمزى) ، وأواجه أكثر قضايا عملي حيرة وغموضًا ، ولا يوجد طرف خيط حقيقي ، يمكنني الإمساك به ، ليقودني إلى الحقيقة ، وكل خيط أحاول التشبث به يبدو كالسراب ، ما أن أقترب منه وأجذبه ، حتى يتلاشى .

قالت (نشوى) :

- ولكن الخيوط كلها تقود إلى هدف واحد .

سألتها أمها :

- أي هدف هذا ؟

أشارت بسبابتها ، مجيبة :

- (أكرم) .

تنهَّد (نور) مرة أخرى ، وهزّ رأسه قائلاً :

- هذا ما يزيد الأمر غموضًا يا (نشوى) .. كل الخيوط تقود

إلى (أكرم) .. وكلها أيضًا تتحطم على صخرته ، دون تفسير علمي أو منطقي واحد ، لكل ما يحدث .

ران على الحجرة صمتٌ طويل ، وكل من أفراد الفريق يحاول دراسة الأمر وتمحيصه في ذهنه ، إلى أن قطع (محمود) حبل الصمت هذا ، قائلاً :

- لم لا نفترض أنه يستعيد وعيه بالفعل ؟

التفت إليه الجميع في تساؤل ، وقال (رمزى) :

- ولكن هذا يخالف كل النظريات العلمية والطبية ، و ..

قاطعه (محمود) في حماس :

- وماذا في هذا ؟ .. لقد اعتدنا مواجهة كل غريب وعجيب ، في عملنا هذا ، وليس من المستبعد أن نواجه في هذه القضية ظاهرة جديدة .. ألم يقل الأطباء إن حالات الغيبوبة العميقة هذه لا تزال غامضة ، ولا أحد يعلم كيف تحدث ، ولا ماذا يصيب الشخصَ الفاقد الوعي خلالها ، وأنه من الممكن أن يستعيد وعيه بغتة ، في أية لحظة ، دون قاعدة ثابتة أو معروفة ؟ .. ما دام الأمر كذلك ، فليس من المستبعد أن يستعيد (أكرم) وعيه ، في لحظات عشوائية ، فينهض بعقله نصف الواعي ، وينتحل شخصية ذلك الآلي ، و..

لوَّح بذراعيه لحظات في صمت ، وكأنما لا يجد ما يستطرده ، ثم هتف :

- سنجد حتمًا تفسيرًا منطقيًا ، لو افترضنا هذا

قال (نور) :

- لقد طاف هذا الاحتمال بخاطرى بالفعل يا (محمود) ، وحاولت دراسته أكثر من مرة ، ثم قفزت إلى ذهنى فكرة مخيفة

سألته (سلوى) فى قلق :

- ما هى ؟ !

بدا صامتًا جامدًا لحظات ، ثم أجاب فى حزم :

- الطرح الجسدى .

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، واتسعت عينا (سلوى) فى دهشة ، وكرّر (محمود) الكلمة فى انزعاج ، فى حين قالت (نشوى) فى حيرة :

- وما هذا الطرح الجسدى ؟

أجابها (نور) :

- إنها عملية خارقة للمألوف ، تحدّث عنها بعض علماء ما فوق الطبيعيات ، وهم يدرسون أحوال الوسطاء الروحانيين ، وبعض الظواهر الخارقة ، وفيها يتكوّن ما يسمى بالجسم الأثيرى ، خارج جسم الوسيط ، عندما تبلغ قوته العقلية ذروتها ، ويمكن للآخرين رؤية هذا الجسم الأثيرى ، الذى قد يكون نسخة طبق الأصل من صاحب الجسد الأصلى ، أو يتكوّن فى صورة أخرى ، كصورة شخص آخر ، أو جسم آخر ، وهناك حوادث مسجلة علميًا ، وحالات التقط فيها البعض صورًا فوتوجرافية واضحة للوسطاء ، والجسم الأثيرى المصاحب لهم (*) .

قالت (نشوى) فى مزيج من الدهشة والخوف .

(*) حقيقة علمية .

- ولكن هذا يشبه روايات الخيال العلمى ، وأفلام الإثارة والرعب .

أجابها (رمزى) هذه المرة :

- ولكنه حقيقة يا (نشوى) ، ولقد قضى البعض عمره كله لدراسة هذه الظاهرة ، التى استنكرها البعض ، وأيدها البعض الآخر ، وما زالت تتأرجح بين الرفض والقبول ، حتى يومنا هذا .

قالت فى انفعال :

- فى هذه الحالة يكون هذا الآلى مجرد جسم أثيرى ، يفرزه جسد (أكرم) ، دون أن يخرج الأخير من غيبوبته !

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

- إنه يبدو تفسيرًا عجيبًا وخياليًا ، وعلى الرغم من هذا ، فهو التفسير المنطقى أو العلمى الوحيد ، الذى تتوازن معه كل هذه الأحداث .

بدت الحيرة على وجهها لحظات ، ثم قالت فى عناد :

- لو افترضنا هذا ، فكيف اختفى (أكرم) من حجرته ، قبل أن يهاجمنا ذلك الآلى ، أنا و (محمود) و (رمزى) ؟

قال (نور) فى خفوت :

- الأمر يحتاج إلى دراسة نظرية الجسم الأثيرى أوّلاً ، قبل إجابة مثل هذا السؤال .

لم يقنعها هذا الجواب ، فأضافت :

- فليكن .. دعونا نفترض أننا نواجه جسمًا أثيريًا ، على الرغم من قوته .. ولكن كل هذا لا يجيب السؤال الرئيسى .. لماذا يفعل (أكرم) كل هذا ؟

لوّح (نور) بسبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

- نعم يا (نشوى) .. هذا هو السؤال .. لماذا يحدث كل هذا ؟ ! .. لماذا ؟

وبقى السؤال بلا جواب ..

أو أن الجواب كان يتكون فى اللحظة نفسها ..

وفى قلب (القاهرة الجديدة) ..

على رءوس الأشهاد .

* * *

٤ - الهدف ..

ألقى حارس الأمن الخاص ، الذى تم تعيينه داخل حجرة العناية المركزة ، نظرة طويلة على (أكرم) ، فى صمته وسكونه العميقين ، ثم أطلق من أعماقه زفرة حارة ، وهو يقول لممرضة الحجرة فى ضجر :

- يا لها من مهمة سخيفة ! .. لقد أخبرونى أنها مهمة بالغة الخطورة ، وطلبوا منى عدم النوم لحظة واحدة ، وهأنذا أقضى نصف المساء فى ضجر تام ، أتطلّع إلى رجل فاقد الوعى ، لا ينبس ببنت شفة ، أو يأتى بأدنى حركة .. أية خطورة فى عمل كهذا ؟ !

هزّت الممرضة كتفيها ، وقالت :

- إنك لم تر ما رأوه ، ولا تعرف ما يعرفونه .. أنا أيضًا أخبرونى أن أتخذ الحذر ، والشىء الوحيد ، الذى أتميّز به عنك ، هو أننى رأيت زميلتى الشاحبة المرتجفة ، وهى تغادر هذه الحجرة ، حتى لقد تصوّرت أننى سأقضى الليلة فى بيت الأشباح .

زفر الحارس مرة أخرى ، وعاد يتطلّع إلى (أكرم) ، ثم التفت إليها يسألها :

- ألم يخبرك أحد عن سر خوف زميلتك وشحوبها ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

- كلا .. إنهم يحتفظون بالأمر سرًا ، كما لو أننا جزء من سرية رهيبة ، بين أجهزة المخابرات المختلفة .

رمقها بنظرة طويلة ، قبل أن يشيح بوجهه ، قائلاً :

- من يدرى ؟ .. ربّما .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطفأت أنوار الحجرة بغتة ، فأطلقت الممرضة صيحة ذعر ، وهبّ هو واقفًا ، واستلّ مسدسه الليزرى بحركة حادة ، وهو يهتف :

- ماذا يحدث هنا ؟

التصقت به الممرضة فى رعب ، وقالت :

- لست أدرى .. ليس من المفروض أن يحدث هذا .. ولكن المولّد الاحتياطى سيعمل فى خلال ثوان معدودة ، و ..

بترت عبارتها فجأة ، عندما شعرت بشىء غامض ينتزع الحارس من جوارها فى عنف ، وسمعته يقول فى انزعاج :

- ما هذا ؟ .. من أنت ؟

ثم سمعته يطلق شهقة عنيفة ، اختلطت بفرقعة مخيفة ، ثم بصوت ارتطام جسد بالأرض ، فتراجعت فى رعب هائل ، وصرخت :

- ما هذا ؟ .. ما هذا ؟

اشتعل المولّد الاحتياطى ، فى اللحظة نفسها ، وسطعت أضواء الحجرة ، واتسعت عينا الممرضة فى رعب أكثر ..

وأمام عينيها ارتسم هذا المشهد الرهيب ..

الآلى بقامته الممشوقة ، وجسده المعدنى المخيف ، وتحت

قدميه جثة الحارس ، وقد انكسر عنقه ، وجحظت عيناه ، وفارق الحياة ..

وانفرجت شفتا الممرضة ، لتنطلق من حلقها صرخة رعب أخرى ، ولكن اليد المعدنية تحرّكت فى سرعة كبيرة ، وهوت على وجهها ، فارتطم رأسها بالحائط ، و ..

وسقطت فاقدة الوعى ..

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى مرور ثلث الساعة فحسب ، بعد حادث المستشفى ، عندما توقفت سيارة أحد المواطنين أمام إشارة المرور ، وبدا المواطن خلف عجلة قيادتها ضجرًا متململاً ، وهو يقول فى سخط :

- يا لإشارات المرور اللعينة .. ستتوقف أربع دقائق على الأقل .

قالت زوجته فى ضيق :

- إنه القانون ، وأنت تضيع عشرات الأضعاف من هذا الوقت ، أمام شاشات الهولوفيزيون ، فلماذا تخنقك طاعة القانون إلى هذا الحد ؟

بدا وكأنه لم يسمعها قط ، وهو يتطلّع فى اهتمام إلى شرطى المرور ، الذى انشغل بمعاونة طفلين على عبور الطريق ، ثم قال فى لهفة :

- الشرطى لا يرانا الآن ، ويمكننا الانحراف إلى طريقنا فى سرعة ، دون أن ينتبه إلى هذا .

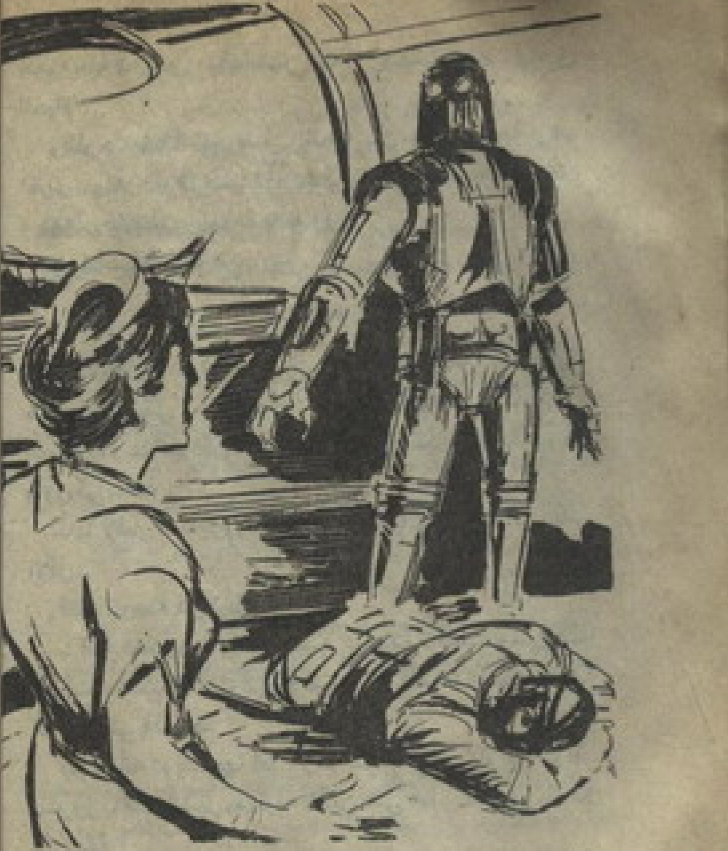

وأمام عينيها ارتسم هذا المشهد الرهيب :

الآلى بقامته الممشوقة ، وجسده المعدنى المخيف ، وتحت قدميه جثة الحارس ..

قالت فى توتر :

ـ لماذا ؟ .. لن تمض دقائق ، حتى يمكننا فعل هذا على نحو قانونى .

أدار محرِّك السيَّارة ، قائلاً فى سخرية :

ـ ولماذا ننتظر ؟

اندفع بالسيارة ، متجاوزًا إشارة المرور الحمراء ، وهم بالانحراف فى الطريق الأيمن فى سرعة ، عندما هوت الصاعقة على سيارته ..

وفى هذه المرة كانت الصاعقة عبارة عن حزمة من أشعة الليزر ، هبطت من السماء على مقدمة السيارة ، ونسفت محركها نسفًا ..

وانطلقت صرخات المارة ، وامتزجت بصرخة الزوجة ، التى اتسعت عينا زوجها فى ذهول ، وهو يحدِّق فى ذلك الفراغ ، الذى تركه المحرِّك المحطم ..

وفجأة ، انحبست الصرخات فى الحلوق ..

انحبست على مرأى ذلك الآلى ، الذى هبط من أعلى ، بوساطة حزام الطيران ، وانقضَّ على السيارة ، ثم انتزع منها بابها الأيسر فى قوة ، ومدَّ يده يجذب سائقها ، وسط صرخات زوجته ..

وامتقع الرجل فى رعب هائل ، وهو يواجه ذلك الآلى ، الذى تطلع إليه بآلتى تصوير الفيديو ، وقال بصوت آلى معدنى مخيف :

ـ أنت خالفت القانون عمدًا .

عجز الرجل عن النطق ، من شدة رعبه ، فى حين لوَّحت

زوجته بكفها ، هاتفة فى هلع لا مثيل له :

- لم يكن يقصد هذا .. لم يكن يقصده .

واندفع جندى المرور نحو الآلى ، هاتفًا :

- أنت .. ماذا تفعل ؟

ولكن الآلى تجاهل كل هذا ، وهو يستطرد :

- وتستحق الموت .

اتسعت عينا الرجل فى رعب ، وصرخت زوجته فى ارتياع ، فى حين رفع الآلى قبضته المعدنية ، مضيفًا :

- الآن .

وقبل أن يطلق الرجل صرخة واحدة ، هوت قبضة الآلى على صدره كالقنبلة ، وهشمت أضلاعه فى صوت رهيب ، وغاصت وسط الصدر ، مفجّرة بركانًا من الدماء ..

وأطلقت الزوجة صرخة هائلة ، وهوت فاقدة الوعى ، فى حين جحظت عينا زوجها ، قبل أن تفيض روحه إلى بارئها ، دون أن يطلق حتى صرخة ألم واحدة ، وصاح شرطى المرور :

- يا إلهى ! .. أى هول هذا ؟

كان أبشع مشهد شاهده المارة ، فى عمرهم كله ، فانطلقت من حلوقهم صرخات وشهقات الرعب والارتياع ، واندفع بعضهم يعدو بلا هدف ، وانطلقت السيارات فى ذعر ، وراحت ترتطم ببعضها البعض ، والشرطى ينتزع مسدسه ، صارخًا :

- أنت موقوف بتهمة القتل .

التفت إليه الآلى فى بطء ، وانتزع قبضته المعدنية الملوّثة

بالدماء من صدر ضحيته ، وألقى جثته فوق السيارة ، قبل أن يواجه الشرطى ، الذى رفع مسدسه ، هاتفًا :

- إننى ألقى القبض عليك .

رفع الآلى ذراعه نحو الشرطى ، الذى تراجع صائحًا :

- إننى أحذرك .. سأطلق الأشعة .

وانطلقت الأشعة بالفعل ..

ولكن من المدفع الليزرى الصغير ، فى ذراع الآلى ..

وانتزعت الأشعة الشرطى من مكانه ، ومزّقت صدره ، فى موضع القلب تمامًا ، وألقته بدوره جثة هامدة ..

وتضاعف ذعر المارة ورعبهم ، وانطلقت من بعيد أبواق سيارة شرطة ، ولكن الآلى ضغط زر حزام الطيران فى هدوء ، وانطلق كالصاروخ مبتعدًا عن المكان ، وسط الظلام ، و .. والخوف ..

* * *

أسند القائد الأعلى للمخابرات العلمية رأسه إلى راحته ، وهو يستمع إلى تقرير الدكتور (ناظم) فى مرارة ، ثم رفع رأسه فى أسى ، وهو يقول :

- مخالفة مرور ؟ ! .. أكل هذه البشاعة والقسوة ، من أجل مخالفة مرور ؟ !

قال الدكتور (ناظم) فى أسف :

- لقد أثار موجة هائلة من الذعر ، ولم يعد من الممكن إخفاء

الأمر ، ثم أن البعض راح يشيع أنه مخلوق من كوكب آخر ، يمهد لغزو جديد ، ولك أن تستنتج ما يمكن أن يفجره هذا فى النفوس من رعب هائل ، بعد كل ما قاساه العالم من الاحتلال قديمًا .

غمغم القائد الأعلى :

- هذا ما كان ينقصنا .

ثم اعتدل يسأل الدكتور (ناظم) :

- وماذا فعلت إزاء هذا ؟

أجابه الرجل :

- لقد فحص رجالنا مكان الحادث ، وجمعوا كل ما يمكن فحصه معمليًا ، وتم نقل زوجة الضحية إلى مستشفى خاص ، لعلاجها من الانهيار العصبى الشديد ، الذى أصابها مع مصرع زوجها ، على هذا النحو البشع ، أما جثة الرجل ، فقد تم نقلها إلى مصلحة الطب الشرعى ، والدكتور (محمد حجازى) يقوم بفحصها الآن .

سأله القائد الأعلى :

- وماذا عن (نور) ؟

هز الدكتور (ناظم) رأسه ، وقال :

- إنه يكاد يصاب بالانهيار ، من شدة التوتر والانفعال ، ونقص ساعات النوم والراحة .

هز القائد الأعلى رأسه متفهمًا ، وقال :

- وأين هو الآن ؟

لوح الدكتور ناظم بكفه ، قائلا :

- فى المستشفى ، فالأمر - فى هذه المرة أيضًا - ارتبط بحادث غامض وعنيف ، فى حجرة (أكرم) .

التقى حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

- ما معنى هذا بالضبط ؟ ! .. لماذا يرتبط الأمر دائمًا بـ (أكرم) هذا ؟

قال الدكتور (ناظم) ، وهو يقلب كفه فى حيرة :

- لا أحد يدرى .. الأمر غير مقبول أو منطقى ، من الناحية العلمية أو العملية ، وعلى الرغم من هذا ، فهناك سر غامض ، يربط ما بين (أكرم) ، وذلك الآلى الرهيب ، ولكن ما هذا السر بالضبط .. لا أحد يدرى ..

نعم .. ما هذا السر بالضبط ؟ !

هذا هو السؤال نفسه ، الذى كان يدور فى عقل (نور) ، وهو يقف داخل حجرة العناية المركزة ، يراقب (أكرم) الفاقد الوعى ، والذى التف حوله عدد من الأطباء ، يعيدون فحصه للمرة الثالثة ، خلال يومين فحسب ..

وفى أعماق (نور) كان هناك بركان ثائر متفجر ..

ما الذى يحدث بالضبط ؟ ! ..

كيف يستعيد (أكرم) وعيه ، ويحتل ذلك الجسد الآلى ؟ ! ..

وكيف يعود بعدها إلى حالة فقدان الوعى ؟ ..

كان رأسه يلتهب بالأسئلة ، عندما شعر بيد توضع على كتفه ، وسمع صوتًا خافتًا ، يقول فى رقة :

- كيف حالك أيها الرائد ؟

التفت (نور) إلى صاحب الصوت فى هدوء ، وقال :

- فى غاية القلق يا دكتور (هيثم) .. كيف حال ذراعك ؟

تطلع (هيثم) بدوره إلى (أكرم) ، وأجاب فى خفوت :

- ستشفى قريبًا بإذن الله ..

مرّت لحظة من الصمت ، ثم أضاف (هيثم) :

- أما زلت تتصوّر أن (أكرم) هو ذلك الآلى ؟

قال (نور) :

- فى عملنا لا ينبغى أن نهمل أى احتمال ، مهما بدا عجيبًا أو مستحيلاً .. ثم إن الدلائل كلها تشير إلى هذا ، على الرغم من إصراركم جميعًا على استحالته .

قال (هيثم) :

- إننا نتحدث برأى علمى .

أجابه (نور) :

- العلم لم يدرك كل شىء بعد يا دكتور (هيثم) .

ثم أضاف فى اهتمام :

- وعلى أية حال ، سنواجه الأمر بشبكة علمية هذه المرة .

سأله (هيثم) فى حيرة :

- كيف ؟

أجابه (نور) :

- سنزود هذه الحجرة بكل وسائل المراقبة والفحص ، وكأنها ثكنة حربية صغيرة ، وسنراقب فراش (أكرم) بآلات تصوير الفيديو ، والهولوجرافات ، والفحص الإشعاعى ، والحرارى ، والأشعة دون الحمراء ، ومكبرات الصوت الدقيقة والفائقة ، وأجهزة الرادار المتطوّرة ، وسأحيط المكان كله بفريقين مسلحين من فرق الأمن .

هتف (هيثم) :

- ما كل هذا ؟

أجابه (نور) فى حزم :

- لا ينبغى أن نترك ثغرة واحدة هذه المرة .

وافقه (هيثم) بإيماءة من رأسه ، وقال :

- أنت على حق .. الأمر أعقد من أن نتعامل معه بالوسائل التقليدية .

انتهى الأطباء من الفحص ، فى اللحظة نفسها ، وتبادلوا بعض العبارات الفنية ، قبل أن يتجه رئيسهم إلى (نور) ، وهو يقول فى حسم :

- إنه فاقد الوعى تماما ، ما من أدنى شك فى هذا .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- كيف ؟ .. إنه ..

قاطعه الرجل فى حزم :

- إنه عملنا أيها الرائد ، ونحن على استعداد لمنحك شهادة رسمية بهذا .

قال (نور) فى ضيق :

- لست أحتاج إلى هذا يا سيدى ، ولست أعترض على نتائج فحصكم لـ (أكرم) ولكننى أحتاج إلى بعض المعلومات الضرورية ،

حول هذه الحالة .

أشار إليه الطبيب ، قائلاً :

ـ حسنًا أيها الرائد ، تفضل فى مكتبى ، وسأجيب على كل أسئلتك .

تردد (نور) لحظة ، ثم التفت إلى رجال الأمن ، قائلاً :

ـ سأصحب الطبيب إلى حجرته ، وأريد رجلى أمن هنا ، بكل أسلحتهما ، لحراسة الحجرة ، ومنع دخول أو خروج أى شخص منها ، حتى يصل طاقم خاص من مركز أبحاث إدارة المخابرات العلمية ، لتركيب معدات الفحص والمراقبة ، وليبلغنى أحدكم عند وصول الطاقم .

أجابه رئيس الأمن :

ـ اطمئن أيها الرائد .. سيحرس رجالى المكان بأرواحهم .

غمغم (نور) :

ـ أتمنى هذا .

ثم لوّح لـ (هيثم) بكفه ، مستطردًا :

ـ معذرة يا دكتور (هيثم) .. سنواصل حديثنا فيما بعد .

وصحب الطبيب إلى حجرة مكتبه ، ولم يكد يستقرّ بهما الحال هناك ، حتى سأله فى اهتمام بالغ :

ـ أخبرنى يا سيدى ، ما نسبة الخطأ ، فى تقرير حالة الغيبوبة ؟

هزّ الطبيب رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ولا صفر فى المائة .. إننا نفحص كل العوامل والمعدلات الحيوية ، وفى كل حالات الغيبوبة العميقة ، تنخفض كل هذه

المعدلات إلى حد بالغ الضآلة ، لا يكفى للقيام بأدنى عمل ، وإنما يكفى بالكاد لبقاء الشخص على قيد الحياة ، ومن المستحيل افتعال هذه الحالة .

اعتدل (نور) فى مقعده ، قائلاً :

ـ من قال إن هذا مستحيل ؟

قال الرجل فى حدة :

ـ العلم أيها الرائد .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ العلم لا يمكنه رفض حدوث هذا عمدًا يا سيدى ، لأنه يحدث بالفعل ، منذ عشرات السنين ، ففقراء الهنود يمكنهم منذ الأزل خفض معدلاتهم الحيوية بإرادتهم ، إلى أدنى حد ممكن ، حتى أنه يتم دفنهم أحياء ، لمدة قد تبلغ يومًا كاملاً ، ثم يخرجون إلى الحياة أصحاء معافين(*) .

قال الرجل فى عصبية :

ـ لسنا نؤمن هنا بهذه الخزعبلات أيها الرائد .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

ـ ليست خزعبلات كما تتصوّر يا سيدى ، ولكن دعنا من هذا ، فلسنا هنا بصدد مناقشة صحة هذه الأمور من عدمها ، المهم أن تخبرنى .. هل يمكن وضع الجسم فى حالة شبيهة بالغيبوبة العميقة ، بوساطة بعض العقاقير .

(*) حقيقة .

أجابه الرجل :

- بالطبع .. عقاقير التخدير ، المستخدمة فى العمليات الجراحية ، يمكنها فعل هذا بكل بساطة .

بدا الاهتمام البالغ على وجه (نور) ، وهو يقول :

- إذن فقد يعنى هذا أن شخصًا ما ، أو جهة ما يمكنها إيهامنا بأن (أكرم) ما يزال غارقًا فى غيبوبة عميقة ، فى حين يكون (أكرم) قد استعاد وعيه فعليًا ، ولكنه يوضع فى حالة غيبوبة صناعية عند اللزوم .

قال الطبيب فى دهشة :

- أى قول هذا أيها الرائد ؟ !

أجاب (نور) فى حماس :

- مجرد فكرة يا سيدى .. فكرة تستحق الدراسة .

بدت علامات التفكير على وجه الطبيب لحظات ، ثم قال :

- ولكنها فكرة غير محتملة أيها الرائد ، فالعقاقير التى يمكنها وضع الجسم فى مثل هذه الحالة صناعيًا ، عقاقير قصيرة المدى ، ينتهى مفعولها بعد ساعة واحدة على الأكثر ، واستمرارها لفترات طويلة قد يسبب إحباطًا للمراكز التنفسية الحيوية ، وموتًا للمريض .

قال (نور) :

- ربما كان هناك عقار جديد ، أو ..

قاطعه الطبيب فى حزم :

- لم نقرأ شيئًا عن هذا .

أجاب (نور) :

- ليس من الضرورى أن نعلم بوجوده رسميًا يا سيدى .

لوّح الطبيب بذراعه ، قائلاً :

- ربما .. لن أناقش أفكارك البوليسية أيها الرائد ، ولكن كشف وجود هذا العقار فى دماء (أكرم) أمر بالغ البساطة .. سنحصل على عينة من دمه ، ونقوم بتحليلها فحسب .

نهض (نور) ، قائلاً :

- هل يمكننا فعل هذا الآن ؟

عقد الطبيب حاجبيه فى ضيق ، وقال :

- نعم .. ولم لا ؟

غادر الحجرة مع (نور) ، متجهين إلى حجرة العناية المركزة ، التى يرقد فيها (أكرم) ، ولم يكد المكان يلوح ، حتى لاحظ (نور) حالة التوتر الواضحة هناك ، فاندفع إلى حيث يقف طاقم الأمن ، مع فريق الأبحاث التابع للإدارة ، وقال :

- ماذا هناك ؟ .. ألم أطلب معاونة فريق الأبحاث ، على تركيب أدوات المراقبة والفحص ، و ..

قاطعه رئيس طاقم الأمن فى توتر :

- إننا لم نمنعهم أيها الرائد ، ولكن ..

ارتبك الرجل ، وعجز عن الاستطراد ، وهو يشير إلى حجرة (أكرم) فى توتر ، فاندفع (نور) يفتح الحجرة ، ويدلف إليها ، و ..

وتجمّد فى مكانه فى ذهول ..

لقد كانت الحجرة كلها هادئة ، ساكنة ، يستقر كل شيء فيها في مكانه ، فيما عدا شيئًا واحدًا ..

(أكرم) ..

لقد اختفى ..

اختفى تمامًا .

* * *

٥ ـ وبدأت الحرب ..

، ما هذا بالضبط ؟ .. ، .

ألقت (نشوى) سؤالها هذا ، وهي ترفع أنبوبة صغيرة أمام عينيها ، فالتفت إليها (محمود) و (سلوى) ، وألقيا نظرة على تلك الأنبوبة ، ثم التقطها (محمود) من يدها ، وفحصها في سرعة واهتمام ، قبل أن يقول :

ـ إنها أنبوبة ليزر بسيطة ، من ذلك النوع المستخدم في تصوير وعرض الصور الهولوجرافية (*) .

سألته (نشوى) :

ـ أعلم هذا ، ولكن ما فائدة وجود هذه الأنبوبة ، وسط أجهزة فحص العمليات والمعدلات الحيوية ، في حجرة العناية المركزة ؟

عقدت (سلوى) حاجبيها في تفكير عميق ، ثم قالت :

ـ لست أجد لها عملًا محددًا .

(*) الهولوجراف : وسيلة تصوير وعرض الصور ، ذات الأبعاد الثلاثة ، باستخدام شعاع من الليزر ، ينقسم إلى قسمين ، يسلط أحدهما على الجسم المراد تصويره ، والثاني على اللوح الحساس ، وعند عرض الصورة ، تبدو كما لو كانت جسمًا حقيقيًا ، ولقد توصّل إلى هذا الأسلوب العالم (دينيس جابور) ، عام ١٩٤٧م ، وحصل عليها على جائزة نوبل للعلوم ، عام ١٩٧١م .

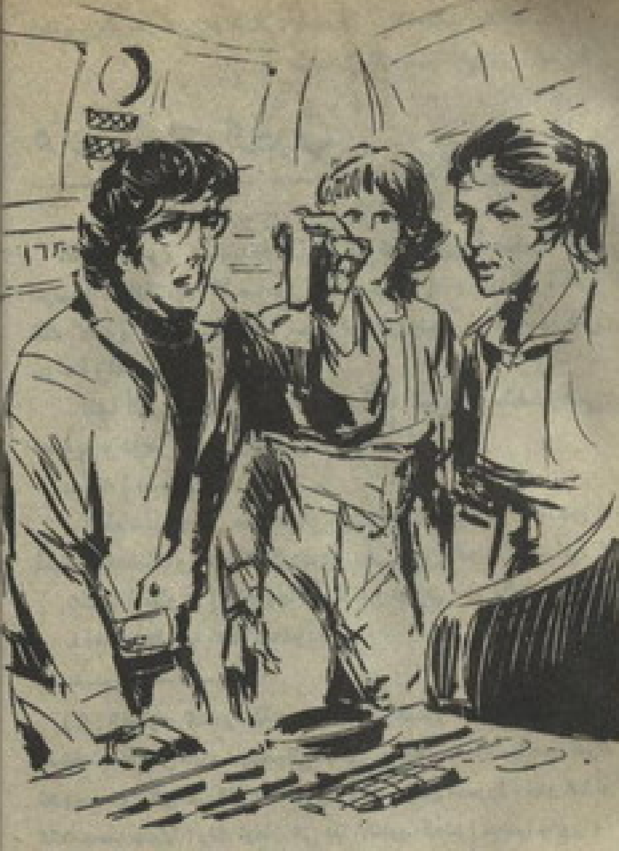

وألقيا نظرة على تلك الأنبوبة ، ثم التقطها (محمود) من يدها ، وفحصها في سرعة واهتمام ..

وهنا هتف (محمود) :

ـ هذه هى النقطة المطلوبة .. هذا ما يبحث عنه (نـور) حتمًا .. لقد كانت هناك وسيلة عرض أو تصوير هولوجرافى فى الحجرة ، بصورة غير رسمية .

قالت (نشوى) فى اهتمام :

ـ لماذا ؟ .. ما فائدتها بالضبط ؟

اندفعت (سلوى) قائلة :

ـ ليختفى (أكرم) وقتما يشاء .

هتفت (نشوى) فى حماس جارف :

ـ رائع يا أماه .. هذا هو التفسير المنطقى بالفعل .. التفسير لظهور الآلى ، دون أن يختفى (أكرم) ، ولتعمده نسف إطار النافذة .. لقد كانت آلة العرض الهولوجرافى تختفى فى إطار النافذة ، وتبدأ فى عرض صورة هولوجرافية لـ (أكرم) الراقد على فراشه ، فى غيبوبة عميقة ، فى نفس الوقت الذى يكون فيه هذا الأخير خارج الفراش ، فى زى الآلى ، وبرنامج الكمبيوتر يدفع الآلات كلها للعمل فى انتظام .

قال (محمود) معترضًا :

ـ ولكن الخبراء أكدوا أنه لا يوجد برنامج كمبيوتر ، أو ..

قاطعته فى غمرة حماسها :

ـ برنامج الكمبيوتر يمكن محوه بضغطة زر واحدة عند اللزوم ، وربما محاه هو ، بعد أن هاجمنا ، وحطم الحجرة .

قالت (سلوى) فى حذر :

ـ أنت بهذا تؤكدين اتهام (أكرم) بأنه الآلى .

اندفعت (نشوى) نحو هاتف الفيديو ، قائلة :

- ليس هذا فحسب ، ولكنني سأتصل بوالدي في المستشفى ، وسأطلب منه إلقاء القبض على (أكرم) ، الذي يتظاهر بالوقوع في غيبوبة عميقة .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة ظافرة ، وهي تستطرد في ثقة .

- لقد انتهت اللعبة ، وانكشف الأمر .. وربح فريقنا الحرب .

لم تكن تدرك لحظتها أن الحرب ، التي تتحدث عنها ، لم تنته .. لقد بدأت ..

* * *

حدق مدير المستشفى في السرير الخالي في دهشة بالغة ، وهزّ رأسه مرتدًا في توتر بالغ :

- مستحيل ! .. إنه لم يختف حتمًا ! .. لم تنشق الأرض وتبتلعه ، أو يتبخر !

قال حارسا الحجرة في اضطراب :

- وهو لم يغادر الحجرة يا سيّدي .. لا أحد دخل الحجرة أو غادرها ، منذ أمرنا الرائد (نور) بحراستها ، وحتى وصل فريق الأبحاث .

صاح المدير في غضب :

- أين ذهب المريض إذن ؟

قلّب الجميع أكفهم في حيرة شديدة ، والتقى حاجبا (نور) في توتر ، وهو يعيد فحص الحجرة كلها بعينيه ، قبل أن يغمغم :

- اللعنة !

التفت إليه مدير المستشفى ، قائلاً :

- ماذا تقول ؟

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- لا شيء يا سيّدي .. لا شيء .. إنني أصف مشاعري لنفسي .

لم يفهم الرجل ما يعنيه (نور) بالضبط ، وإنما هتف :

- إننا لسنا أمام عمل سحري .. أليس كذلك ؟

لم يجب (نور) ، وهو يدير عينيه في المكان مرة ثالثة ، ثم سأل فجأة :

- ألا يوجد أي مخرج آخر للحجرة ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

- كلاً .. لا يوجد سوى مخرج واحد .

قال (نور) في حزم :

- أهذا ما تقوله الرسوم الهندسية للمبنى أيضًا ؟

قال المدير :

- لست أدري .. يمكنك مراجعة الرسوم بنفسك .

أجابه (نور) :

- سأفعل بالتأكيد ، وحتى أنتهي من هذا ، أريد من رجال البحث الجنائي فحص الحجرة بمنتهى الدقة والاهتمام ، على أن يتم إعلامي بأي أثر ، يتم العثور عليه ، مهما بلغ من الصغر .

واعتدل مستطردًا في حنق :

- إننا نواجه خصمًا جهنميًا .. جهنميًا بحق ..

* * *

اكتظت قاعة المحاكمات الكبرى بعدد ضخم من المشاهدين والصحفيين ، لحضور جلسة محاكمة واحد من أشهر رجال الأعمال فى المجتمع ، بتهمة الاتجار فى المخدرات الحديثة ، فى أوّل قضية من نوعها ، فى العالم الجديد ..

وفى توتر شديد ، راحت (مشيرة محفوظ) تلقى تعليماتها للطاقم المصاحب لها ، لتركيز آلات التصوير على الزنزانة الإليكترونية ، ومنصة القضاء ، ورجال الأمن ، الذين يحيطون بالمكان ، وفى عصبية شديدة ، أزاحت خصلات شعرها ، هاتفة :

- هيا .. إنكم لم تنتهوا من عملكم بعد ، وسيبدأ البث بعد لحظات .

كان الرجال يعملون بأقصى طاقاتهم بالفعل ، ولكنها كانت تشعر فى أعماقها بتوتر لا حدود له ، يدفعها لهذه العصبية الشديدة ، التى بذلت أقصى طاقتها بدورها للتغلب عليها ، قبل بدء البث ..

وفى حزم ، قال رئيس فريق التصوير :

- هيا يا (مشيرة) .. سنبدأ الآن .

سمعته يبدأ العد التنازلى ، فالتقطت نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على توترها ، ورسمت على شفتيها ابتسامة مدروسة ، عندما هتف الرجل :

- الآن يا (مشيرة) .

لم يكد ينتهى من نطق عبارته ، حتى بدأت (مشيرة) حديثًا إلى المشاهدين ، قائلة :

- أعزائى المشاهدين والمشاهدات .. ننقل إليكم الآن تفاصيل محاكمة العصر .. أوّل قضية اتجار فى المخدرات ، منذ نهاية الغزو .. رجل الأعمال الشهير (ماجد منصور) هو المتهم الأوّل فى القضية ، ولكن محاميه يؤكد أن البراءة مضمونة ، على الرغم من كل ما يشيعه النائب العام ، من حتمية إدانة (ماجد منصور) .. ترى كيف تنتهى جلسة اليوم .. هذا ما سنتابعه معًا ، فى هذا التحقيق .

شعرت بالارتياح ، عندما ابتعدت عنها عدسات التصوير ، وراحت تنقل وقائع جلسة المحاكمة ، فألقت جسدها على مقعدها ، ودفعت خصلات شعرها إلى الخلف ، وهى تقول :

- لقد سئمت هذه المهنة .

ابتسم رئيس فريق التصوير ، وقال :

- إنه ملل مرحلى فحسب ، لن يلبث أن ينتهى كالمعتاد .. كل ما تحتاجين إليه هو إجازة قصيرة ، بعد تجربتك العنيفة .

أومأت برأسها مغمغمة :

- نعم .. ربما كنت على حق .. إننى أحتاج إلى إجازة بالفعل .

استرخت فى مقعدها ، وراحت تتابع المحاكمة فى تراخ ..

كان وكيل النيابة يصرُّ على تطبيق أقصى عقوبة على (ماجد منصور) فى حين يؤكد محامى هذا الأخير أن إلقاء القبض عليه غير قانونى ، ويطالب بالإفراج عنه على الفور ، واستغرقت

المناظرة وقتًا طويلاً ، ثم حانت لحظة النطق بالحكم ..

وفى أسف هزّ القاضى رأسه ، وقال :

ـ طبقًا للقانون فعملية إلقاء القبض على (ماجد منصور) لم تكن مناسبة أو قانونية ، ولم تستطع النيابة إثبات العكس ، مما يحتم علىّ ـ بكل أسف ـ أن أحكم بالإفراج عن المتهم ، دون قيد أو شرط ، و ..

دوى صوت قوى فى المكان بغتة ، مقاطعًا القاضى :

ـ خطأ .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، وارتفعت رءوسهم إلى أعلى ، ثم انطلقت من حلوقهم الشهقات والصرخات ، واتسعت عينا (مشيرة) فى ذعر ، وهى تحدق معهم فى ذلك الجسد ، الذى تكوّن عند الجدار ، أو ظهر للأعين ، مع اختلاف ألوانه التدريجى ، قبل أن يهبط من فوق باب القاعة ، بوساطة حزام الطيران ، ويستقرّ وسط القاعة ، عاقدًا ساعديه أمام صدره المعدنى ..

وهتفت (مشيرة) بصوت مختنق :

ـ أنه هو .

ساد الهرج والمرج فى القاعة ، واستلّ كل رجال الأمن أسلحتهم ، وصاح رئيس فريق التصوير فى حماس :

ـ التقطوا صورته .. هيا .. إنه سبق هائل .

التفتت آلات التصوير كلها إلى حيث يقف الآلى ، وسط قاعة المحاكمات الرئيسية ، ونقل البث المباشر صورته ..

إلى (مصر) كلها ..

* * *

انعقد حاجبا مهندس المستشفى الخاص ، وهو يتطلّع إلى وجه (نور) ، ويقول فى حذر يحمل نبرة عدوانية :

ـ الرسم الهندسى للمستشفى ؟! .. ولماذا تريد رؤية الرسم الهندسى للمستشفى أيها الرائد ؟

قال (نور) فى حزم :

ـ إننى أطلبه منك بصورة رسمية أيها المهندس ، وليس من حقك معرفة السبب ، طبقًا لقانون الأمن العام ، و ...

قاطعه الرجل بإشارة من يده ، وهو يقول :

ـ لابأس أيها الرائد .. لابأس .. سأمنحك ماتريد .

والتفت إلى جهاز الكمبيوتر الخاص به ، مستطردًا فى لهجة نصف ساخرة :

ـ فلست أحب أن ألقى حتفى مثل (وليد) المسكين .

بدا الضيق على وجه (نور) لسماعه هذه العبارة ، ولكنه سيطر على أعصابه ، وهو يقول :

ـ لن يلقى أى مخلوق حتفه بعد هذا بإذن الله .

قال الرجل فى سخرية ، وهو يضرب أزرار الكمبيوتر بأصابعه :

ـ لماذا ؟ .. هل تفكر فى الاعتزال ؟

أجابه (نور) على الفور :

ـ ليس وفى هذا العالم أوغاد مثلك .

انعقد حاجبا الرجل فى غضب ، والتفت إلى (نور) فى حركة حادة ، صائحًا :

ـ لو أنك تتصوّر أن منصبك ..

قاطعه (نور) فى غضب صارم :

ـ الرسم الهندسى أيها المهندس .. قم بعملك ، ولاتضيع الوقت فى مناقشات سخيفة تافهة ، لاطائل خلفها .

احتقن وجه الرجل فى شدة ، وانفرجت شفتاه ، وكأنه يهمّ بقول شىء ما ، عندما اندفع أحد رجال الحراسة إلى المكان ، هاتفًا فى انفعال :

ـ سيادة الرائد .. هل رأيت ماتنقله شاشات الهولوفيزيون ؟

قالها وقفز إلى جهاز هولوفيزيون صغير ، على مقربة من المهندس ، وأشعله بضغطة زر واحدة ، فتجسّم خلف شاشته مشهد كامل لقاعة المحاكمة ، والآلى يقف وسطها ، مواجهًا رجال الأمن فى لامبالاة ، وهو يقول للقاضى بصوت معدنى صارم :

ـ أنت تعلم أن هذا الرجل تاجر مخدرات ، وهأنتذا تطلق سراحه .

ارتجف القاضى ، مرتدًا :

ـ إنه القانون .

واندفع أحد رجال الأمن نحو الآلى ، هاتفًا :

ـ ليس من حقك دخول القاعة بهذه الوسيلة .. أنت .

قفزت (مشيرة) صارخة :

ـ لا .. لاتهاجمه .

ولكن تحذيرها جاء بعد فوات ، إذ تحرّك الآلى فى سرعة ، أمسك معصم رجل الأمن بقبضته المعدنية ، ثم لواه فى عنف ، أطلق رجل الأمن صرخة ألم هائلة ، امتزجت بصوت عظام عصمه ، وهى تتحطم ، فارتفعت فوهات مسدسات كل رجال لأمن الباقين ، وصرخت (مشيرة) بصوت أعلى ، وذعر جديد :

ـ لا .. لاتطلقوا الأشعة وسط الناس .

التفت إليها الآلى ، وتطلّع إليها لحظة ، قبل أن يدفع رجل لأمن بعيدًا ، وسط حالة الذعر والرعب ، التى سادت القاعة ..

ولم ينتظر (نور) أكثر ..

لقد اندفع خارج حجرة المهندس ، وانطلق يعدو عبر أروقة لمستشفى بأقصى سرعته ، وسط دهشة الجميع ، حتى بلغ سيارته الصاروخية ، فوثب داخلها ، وانطلق بها على الفور ..

وفى صدره ، راح قلبه يخفق فى عنف ..

ها هى ذى المواجهة أخيرًا ..

لقد قرّر الآلى الخروج فى وضح النهار ..

وبدأ المواجهة المباشرة ..

وهذا يريحه هو أكثر ..

إنه يفضّل المواجهات العلنية ، فالغموض فيها أقل ..

ولكن هل يمكنه حسم الموقف ، فى هذه المواجهة ؟..

هل يمكنه هذا حقًا ؟..

فى نفس الوقت الذى استغرقه فيه التفكير ، وهو ينطلق بسيارته نحو قاعة المحاكمات الكبرى ، كان الآلى يقول للقاضى :

ـ القانون على خطأ .. المجرم هو المجرم ، لايمكن تركه حرًّا ، ليعيث الفساد فى المجتمع .. لن يحتمل العالم الجديد هذا التهاون المخيف ، فى حقوق الأبرياء .. المجرم مجرّد حشرة ، ينبغى سحقها بالأقدام ، حتى لاتؤذى المجتمع .

انكمش القاضى فى مقعده ، وهو يقول :

ـ القانون هو القانون ، وليس من حقى ، أو من حق غير أن ..

صرخ الآلى فى غضب :

ـ خطأ .. خطأ فادح .

ورفع ذراعه فى غمرة الغضب ، وأطلق من المدفع الليزرى الصغير المثبت فيها طلقة من أشعة الليزر ، نسفت تمثال ميزان العدل ، المثبت على الحائط ، فتفجّر فى مساحة ضخمة ، وتناثرت شظاياه فى القاعة ، وسط ذعر هائل ، جعل القضاة يتراجعون إلى حجرتهم ، ورواد القاعة يعدون خارجها فى رعب ، حتى لم يعد بها سوى رجال الأمن والحراسة ، وفريق أنباء الفيديو ، والمتهم (ماجد منصور) ، الذى راح يصرخ داخل زنزانته الإليكترونية :

ـ لاتتركونى وحدى .. أخرجونى من هنا .. لاتتركونى وحدى .

ولكن أحدًا لم يلتفت إليه فى هذه اللحظة ، فقد بدأ رجال الأمن يطلقون أشعتهم على الآلى ، ورئيس فريق التصوير يهتف برجاله :

ـ لاتتوقفوا .. التقطوا صور كل شىء .. لاتتوقفوا .

أما (مشيرة) ، فقد التصقت بالحائط فى رعب ، وهى تتابع تلك المشهد ، عندما انبثقت خيوط الأشعة من صدر الآلى ، الذى رفع ذراعيه فى غضب ، وراح يطلق أشعة مدفعية الليزريين الصغيرين على رجال الأمن ، ويرديهم قتلى بلا رحمة ..

وتراجع فريق الأمن مضطرًا ، وانطلق رجاله يعدون خارج القاعة ، ورئيس فريق التصوير يهتف ، فى حماس جنونى :

ـ استمروا فى التصوير .. لاتتوقفوا .

ثم انحبست العبارة فى حلقه ، عندما التفت إليهم الآلى ..

ولثوان تجمّدت الدماء فى عروق المصوّرين ، ورنّت (مشيرة) فى ارتياع :

ـ لا .. لاتفعلها .

خيّل إليها أن الآلى قد سمع عبارتها ، واستمع إلى رغبتها ، فأدار عينيه عن الفريق ، وتطلّع إلى (ماجد منصور) ، الذى التصق بجدران الزنزانة ، قائلاً فى رعب :

ـ لا .. لاتفعل بى هذا .

تقدّم الآلى نحوه فى بطء ، وتركّزت عيناه الآليتان على وجه (ماجد) ، ثم انطلقت من ذراعه طلقة من أشعة الليزر ، حطمت

رتاج الزنزانة الإليكترونية ، فانفتح بابها فى عنف ، وصرخ (ماجد) :

ـ لا .. اتركنى .. لاشأن لك بى .. هذا غير قانونى .. غير قانونى .

جذبه الآلى من سترته ، وقال بصوته المعدنى المخيف :

ـ أنت تستحق القتل .

قاوم (ماجد) فى شراسة ، وهو يقول :

ـ لا .. لا .. اتركنى وشأنى .

ضمّ الآلى قبضته الفولاذية ، وهو يكرّر :

ـ أنت تستحق القتل .

رفع قبضته فى صرامة ، فى نفس اللحظة التى دوى فيها صوت حازم يقول :

ـ ليس هذا من حقك .

التفت الآلى بحركة حادة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على صاحبه ..

على (نور) ..

وكانت المواجهة .

* * *

٦ ـ المواجهة ..

عبر الدكتور (ناظم) أحد ممرات إدارة المخابرات العلمية فى سرعة بالغة ، أقرب إلى العدو ، وتوقّف أمام حجرة القائد الأعلى لاهثًا ، وهو يضغط زر جهاز الأمن الخاص ، ثم يتوقّف وسط دائرة خاصة ، فى نفس الوقت الذى انبعث فيه ضوء وردى خافت ، راح يفحص جسده بدائرة ضوئية خاصة ، حتى تركّز على عينيه ، وراح يدرس خطوط قزحيته فى سرعة ، قبل أن ترتسم على شاشة صغيرة أمامه عبارة تقول :

ـ الدكتور (ناظم) .. التحليل ايجابى .

وهنا اختفى الضوء الوردى ، وظهرت على شاشة الأمن صورة القائد الأعلى وهو يقول :

ـ ماذا هناك يادكتور (ناظم) ؟

لوّح الدكتور (ناظم) بذراعيه ، وهو يهتف :

ـ الآلى .. لقد ظهر فى قاعة المحاكمات الكبرى ، والهولوفيزيون ينقل صورته إلى (مصر) كلها .

انفتح باب حجرة القائد الأعلى ، فاندفع (ناظم) داخلها ، وهو يكمل :

ـ المشكلة أن (نور) يواجهه هناك .

انتفض القائد الأعلى فوق مقعده ، وهتف :

- يواجهه ؟!.. ألم تبلغ (نور) بالتطورات الجديدة ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

- لم تكن هناك فرصة سانحة لهذا .. إننا لم نتسلم ذلك الإنذار إلا منذ أقل من ساعة ، وفكرت فى انتظار عودة (نور) ، و ..

هتف القائد الأعلى :

- خطأ .. كان ينبغى إبلاغه الأمر على الفور .

ثم دق سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا فى صرامة :

- ابحث عن وسيلة سريعة لإبلاغ (نور) بالأمر ، قبل أن تحدث الكارثة .. ينبغى أن يعلم أن المواجهة المباشرة مع ذلك الآلى ، ستؤدى إلى نتيجة واحدة فحسب .

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

- إلى نسف (القاهرة الجديدة) .. نسفها عن آخرها ..

* * *

لو أردنا إطلاق وصف دقيق ، على المناخ الذى ساد فى القاعة ، بعد أن ألقى (نور) عبارته ، لقلنا أن الموقف كله كان أشبه بلقطة صامتة ساكنة ، فى فيلم من أفلام الإثارة ، فقد التفت الآلى إلى (نور) ، وتجمّد فريق التصوير فى مكانه ، ونقلت الآلات الهولوجرافية صورة (نور) ، وهو يصوِّب مسدسه الليزرى إلى الآلى ..

ثم كان (ماجد منصور) هو أوّل من كسر سكون اللقطة وصمتها ، عندما لوّح بذراعيه ، صارخًا فى هلع :

- النجدة أيها الرائد .. أنقذنى من براثن ذلك الوحش الآلى .. النجدة !

تجاهله كل من بالقاعة تقريبًا ، وقال الآلى لـ(نور) ، بصوته المعدنى الرنّان :

- ابتعد أيها الرائد .. لاشأن لك بما يحدث هنا .

قال (نور) فى صرامة :

- بل لاشأن لك أنت بسير العدالة .

انطلق من الآلى رنين معدنى ، أشبه بضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

- أية عدالة تلك ، التى تسمح للمجرم بالخروج من قاعة المحاكمة حرًا طليقًا ، بسبب خطأ بسيط فى الإجراءات ، والكل يعلم أنه تاجر مخدرات حقير ؟

قال (نور) :

- هذا القانون يحمى الأبرياء ، ويمنع تلفيق التهم إليهم .

صاح الآلى فى غضب :

- وإطلاق سراح مجرم كهذا يهدد الأبرياء ، الذين سينشر بينهم سمومه ومخدراته ، ليفسد العالم الجديد .

ثم رفع (ماجد) من سترته ، مستطردًا :

- أما قتله ، فيحل المشكلة كلها .

هتف (نور) ، ملوّحًا بمسدسه :

- إننى أمنعك من قتله .

ضمّ الآلى قبضته ، قائلًا :

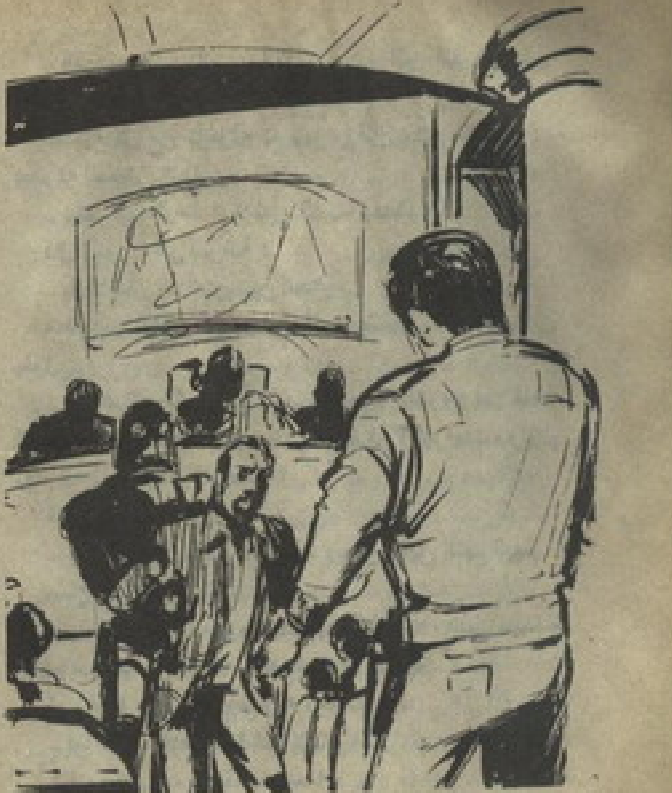

انطلق من الآلى رنين معدنى ، أشبه بضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

ـ أية عدالة تلك ، التى تسمح للمجرم بالخروج من قاعة المحاكمة حرًا طليقًا ..

ـ حاول أيها الرائد .. حاول .

صرخ (ماجد) :

ـ أنقذنى أيها الرائد .. أنقذنى وخذ ثروتى كلها .

قال الآلى فى صرامة :

ـ إذهب مع ثروتك إلى الجحيم .

وهنا صاح (نور) :

ـ قلت إننى أمنعك .

وأطلق أشعة مسدسه ..

لم يطلقها نحو الآلى ؛ لثقته فى أنها سترتد عن صدره ، دون أن تؤذيه كالمعتاد ، وإنما أطلقها على ذلك الجزء ، الذى يمسك به من سترة (ماجد) ، فقطع خيط الأشعة ذلك الجزء ، وسقط جسد (ماجد) ، متحرزًا من قبضة الآلى ، الذى هتف غاضبًا :

ـ أنت أردت هذا أيها الرائد .

تراجع (نور) فى سرعة ، ورأى الآلى يرفع ذراعه نحوه ، فقفز جانبًا ، ورأى خيط الأشعة القاتلة يتجاوزه ببضعة سنتيمترات ، قبل أن يرتطم بالحائط من خلفه ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (ماجد) يعدو عبر القاعة ، صارخًا :

ـ النجدة ! النجدة !

التفت إليه الآلى فى بطء ، ورفع ذراعه نحوه ، وأطلق أشعته ..

وارتطمت خيوط الأشعة القاتلة بظهر (ماجد) ، الذى أطلق صرخة مدوية ، واندفع جسده إلى الأمام فى عنف ، ثم سقط

على وجهه جثة هامدة ، فقفز (نور) واقفًا على قدميه ، وصاح وهو يطلق أشعته نحو الآلى :

ـ أيها القاتل ..

وأصابت الأشعة هدفها تمامًا ..

أصابت واحدة من آلتى تصوير الفيديو ، فى موضع عينى الآلى ، وحطمتها مباشرة ، فصاح الآلى غاضبًا :

ـ إذن فأنت تسعى إلى القتال أيها الرائد .

أطلق (نور) أشعته مرة أخرى ، على آلة التصوير الثانية ، قائلًا :

ـ نعم .. أنا أسعى إليه .

أصابت الأشعة الأخرى هدفها أيضًا ، وتحطمت الآلة الثانية ، فصرخ الآلى :

ـ حسنًا أيها الرائد .. أنت أردت هذا .

وانطلقت من صدره حزمة ضخمة من الليزر ، تنسف أحد جدران القاعة ، و(نور) يعدو مبتعدًا ، وتناثرت الشظايا فى كل مكان ، وهتف رئيس فريق التصوير فى ذعر :

ـ إنه سيقتلنا .. سيقتلنا جميعًا .

صرخت (مشيرة) فى رعب :

ـ لا .. لا يا (أكرم) .. لا

توقف الآلى فجأة ، وأدار وجهه فى بطء ، وكأنه يبحث عنها ، ثم تجمد فى مكانه لحظات ، وكأنه يفكر فى عمق ، قبل أن يرفع ذراعيه إلى أعلى ، ويطلق أشعة الليزر فى كثافة على

السقف ، الذى تحطمت فى منتصفه دائرة كبيرة ، فضغط الآلى زر حزام الطيران ، وانطلق عبرها إلى الخارج ، والغلاف المحيط بجسده يتلون فى سرعة ، متخذًا نفس ألوان السماء الزرقاء ، حتى اختفى ..

وهنا ساد القاعة صمت من نوع جديد ..

صمت الدهشة والحيرة ..

وتطلع الجميع إلى (مشيرة) فى دهشة ، قبل أن يقول رئيس الفريق بصوت مختنق :

ـ أوقفوا البث .

وفى نفس اللحظة سمع (نور) أزيزًا خافتًا ، من ساعة يده ، أعقبته ذبذبات ذات إيقاع منتظم ، ترددت من الساعة إلى معصمه ، حاملة رسالة من إدارة المخابرات العلمية ، تمنعه من مقاتلة الآلى ، وتطالبه بالذهاب إلى إدارة المخابرات على الفور ..

وتلقى (نور) الرسالة كلها فى صمت ، ثم عاد يتطلع إلى (مشيرة) ، التى كانت أشد الجميع بؤسًا وشقاءً ..

لقد تأكدت الآن فقط أن الآلى هو (أكرم) ..

تأكدت تمامًا ..

* * *

جلس (رمزى) فى سيارته صامتًا ساكنًا ، يراقب المدخل الخلفى المهجور للمستشفى المركزى ، والذى تم إغلاقه تمامًا ، منذ رحل الغزاة عن الأرض ، اكتفاءً بالمدخل الرئيسى ، بعد أن

تهدمت المبانى الملحقة به ، وتناثرت أطلالها أمامه ، ولم يتم رفعها عنه حتى ذلك الحين ..

كان قد تابع ما حدث على شاشة الهولوفيزيون ، وأدرك أن القتال سينتهى حتمًا لصالح ذلك الآلى ، الذى لن يلبث أن يهرع إلى مخبئه ..

وكان يتوقع أن يكون هذا المخبأ داخل المستشفى المركزى ..

ولم يطل انتظاره ، بعد انقطاع البث من قاعة المحاكمات الكبرى ..

لقد رأى ذلك الآلى يندفع طائرًا ، نحو الأطلال المطلة على الباب الخلفى للمستشفى ، ثم ينخفض على نحو مباغت ، ويعبر نافذة مفتوحة ، فى الطابق الرابع ..

وبسرعة كبيرة ، غادر (رمزى) سيارته ، وأسرع الخطا نحو الباب الخلفى للمستشفى ، وتطلع إلى النوافذ المطلة عليه ، ورصد النافذة ، التى دخل منها الآلى ..

كانت رابع نافذة إلى اليمين ، فى الطابق الرابع ..

وفى ارتياح ، عاد (رمزى) إلى سيارته ، ودار بها دورة واسعة حول المستشفى ، حتى بلغ بابها الرئيسى ، فعبره إلى ساحة انتظار السيارات الكبرى بها ، وأوقف سيارته ، ثم غادرها فى سرعة ، واستخدم بطاقته الطبية للدخول إلى المستشفى ، ثم استقل المصعد إلى الطابق الرابع ، وهناك راح يحصى الحجرات ؛ ليعلم أية حجرة تلك ، التى دخلها ذلك الآلى ..

وعندما بلغ الحجرة الرابعة ، اتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يقرأ الاسم المدوَّن عليها ، ووجد نفسه يردد ذاهلا :

ـ مستحيل !.

مضت لحظات ، وهو يحدق فى اللوحة ، ثم دق الباب فى تردد ، فسمع صوتًا مألوفًا من داخلها ، يقول :

ـ ادخل .

دفع الباب فى رهبة ، ودلف إلى الحجرة ، فنهضت الدكتورة (جيهان) من خلف مكتبها تستقبله ، وهى تبتسم قائلة :

ـ دكتور (رمزى) .. مرحبًا بك فى مكتبى .

صافحها فى حذر ، وهو يدير عينيه فى مكتبها الخالى من الزوّار ، قبل أن يغمغم :

ـ عجبًا !.. تصوَّرت لحظة أن لديك زائرًا .

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ كلا .. لم أستقبل زوّارًا هذا الصباح .

قال فى دهشة :

ـ حقًا ؟!

كاد يسألها عن ذلك الزائر ، الذى أتاها عبر النافذة ، إلا أنه أحجم عن هذا فى اللحظة الأخيرة ، وقال :

ـ هل شاهدت ما حدث ، فى قاعة المحاكمات الكبرى ؟

أومأ برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ مصيبة كبرى أن يتمّ نقل هذا على الهواء مباشرة .. سيصاب المجتمع كله بالذعر .

رمقها بنظرة فاحصة ، وهو يقول :

ـ الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذا الذعر ، هى إلقاء القبض على ذلك الآلى أو تحطيمه .

وافقته فى حماس ، وأضافت :

ـ لن أنسى مهاجمته لى قط هنا .. لقد كاد يقتل (هيثم) .

سألها فى اهتمام :

ـ بالمناسبة .. أين (هيثم) ؟

أجابته فى بساطة :

ـ اليوم إجازته ، فهو يعمل بطاقة كبيرة ، ويحتاج إلى يومين على الأقل كإجازة أسبوعية .

قال فى حذر :

ـ هناك من يحصلون على إجازة مماثلة ، دون تأدية عمل يذكر .

هتفت :

ـ إننى أبغض مثل هؤلاء .

ولوّحت بكفها ، مستطردة :

ـ المؤسف أن القانون يعجز عن معاقبة هؤلاء الأوغاد ، بسبب قصور مواده ، ولائحة العقوبات فيه .

لم يجد مايعلّق به على عبارتها ، فلاذ بالصمت لحظات ، وهى تنتظر حديثه ، ثم لم تلبث أن ابتسمت قائلة :

ـ ما رأيك فى قدح من الشاى ؟

أجابها فى خفوت :

ـ سيكون هذا رائعا .

نهضت من خلف مكتبها ، قائلة :

ـ سأعده بنفسى ، فالعاملة متغيبة اليوم أيضا .

غادرت مكتبها إلى المعمل الصغير الملحق به ، وتركت (رمزى) وحده فى حجرتها ، فبقى ساكنا لحظات ، ثم نهض من مقعده فى حذر ، واتجه إلى النافذة ، وتطلّع منها إلى الأطلال الخلفية ، وتأكد من أنها نفس النافذة ، التى شاهد الآلى يدخل منها ، فغمغم :

ـ عجبا !.. أين ذهب ؟

عاد يفحص الحجرة فى اهتمام ، حتى توقف أمام الدولاب الخاص بالدكتورة (جيهان) ، وتردد لحظة ، ثم فتحه ، وتطلّع إلى محتوياته القليلة ، التى لاتتناسب مع سعته وعمقه ، ومد يده يبحث عن أى شىء داخله ، و ...

وفجأة ارتطمت يده بشىء ما ..

واتسعت عيناه فى دهشة ..

كان هناك شىء ما يحتلّ فراغ الدولاب ، ولكنه يعجز عن تمييزه ..

ثم أدرك بغتة طبيعة هذا الشىء ..

وسرت فى جسده قشعريرة عجيبة ..

وفى توتر شديد ، راح يتحسّس ذلك الجسد المعدنى الجامد ، الذى اتخذ ألوان الدولاب فى دقة مدهشة ، وتمتم :

ـ مستحيل !.. من يتصوّر هذا ؟.

انتفض جسده كله ، عندما سمع من خلفه صوتًا غاضبًا يقول :

ـ أخطأت بفضولك هذا .

التفت إلى مصدر الصوت فى سرعة ، والتقت عيناه بعينى الدكتورة (جيهان) لحظة ، قبل أن تنغرس إبرة المحقن فى ذراعه ، وتظلم الدنيا أمام عينيهِ ، و ...

وينتهى كل شىء ..

* * *

تنفس القائد الأعلى الصعداء ، عندما رأى (نور) يدلف إلى حجرته ، وهتف :

ـ حمدًا لله على سلامتك أيها الرائد .. لقد هوى قلبى بين ضلوعى ، وأنا أشاهد تلك المواجهة ، بينك وبين ذلك الآلى ، فى قاعة المحاكمات الكبرى .

قال (نور) :

ـ أما أنا فشعرت بدهشة بالغة ، عندما تلقيت الأمر بالتوقف عن الاشتباك معه ياسيِّدى ، ولولا ثقتى فى أن الشفرة التى نستخدمها بالغة السرية ، لايعلمها سوانا ، لشككت فى أنها خدعة .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه ، وقال :

ـ هذا لأنك لم تكن تعلم بتطوُّرات الموقف يا (نور) ، ولم تكن تدرك أن اشتباكك مَع ذلك الآلى ، قد يؤدى إلى نسف (القاهرة الجديدة) كلها .

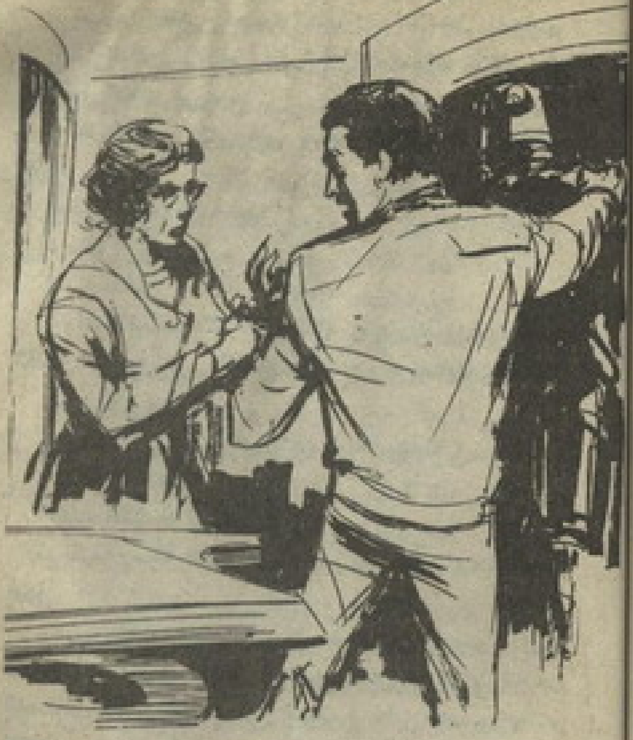

التفت إلى مصدر الصوت فى سرعة ، والتقت عيناه بعينى الدكتورة (جيهان) لحظة ، قبل أن تنغرس إبرة المحقن فى ذراعه ..

عقد (نور) حاجبيه فى توتر ، وهو يقول :

ـ نسف (القاهرة الجديدة) كلها ؟! .. ماذا تعنى ياسيِّدى ؟

تبادل الدكتور (ناظم) نظرة طويلة مع القائد الأعلى ، قبل أن يقول الأخير فى حسم :

ـ لقد استولى الآلى على قنبلتنا النووية الوحيدة أيها الرائد .

هتف (نور) كالمصعوق :

ـ ماذا ؟!

أسرع الدكتور (ناظم) يضيف :

ـ ولقد تلقينا من ذلك الآلى رسالة تهديد ، ينذرنا فيها بتفجير القنبلة النووية ، فى حالة مهاجمتنا له ، أو تصدينا لمهمته .

ردَّد (نور) فى توتر :

ـ مهمته ؟! .. وهل أفصح عن طبيعة مهمته ؟

قال القائد الأعلى :

ـ كنت أظنك قد أدركتها يافتى .

ثم ناوله رسالة الآلى ، فالتقطها (نور) فى اهتمام ، وقرأ فيها :

ـ من مواطن مخلص ، إلى كل مسئول فى (مصر) .. لقد لاحظت تهاونكم فى تطبيق وتحقيق العدالة ، وأدركت أنه من المستحيل أن يتحقق صالح المجتمع على أيديكم ، وأنتم تتشبثون بقوانين قديمة ، وعدالة زائفة ، لذا فقد نصَّبت نفسى حاميًا للعدالة ، بإرادتكم أو رغمًا عن أنفكم ، وسأقيم العدالة

الحقة ، بغض النظر عن قانونكم المكتوب ، أما لو حاولتم منعى من إتمام مهمتى ، أو التصدِّى لها ، فلن يكون أمامى سوى إشعال تلك القنبلة النووية التى استوليت عليها منكم ، والتى طوَّرتها بحيث صارت جزءًا من تكوينى ، وستتحمَّلون كلكم مسئولية اشعالها ، أمام المجتمع الدولى والتاريخ .

انتهت الرسالة دون توقيع ، وتأكد (نور) من أنها مكتوبة بواسطة الكمبيوتر ، على ورق عادى ، ثم قال فى غضب :

ـ إذن فهذا الوغد يرغب فى تحقيق العدالة ، بتحطيم القانون .. أى عبث هذا ؟

قال القائد الأعلى فى مرارة :

ـ المشكلة أننا نعجز فعليًا عن التصدِّى له .

التقى حاجبا (نور) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ اطمئن ياسيِّدى .. سنجد حتمًا وسيلة للتصدِّى له .. هذا ما علمتنى إياه الحياة .. أن الحق هو الذى ينتصر دائمًا فى النهاية .. الحق وحده .

* * *

كان مدير المستشفى المركزى يهمُّ بالانصراف ، بعد يوم شاق ، عندما اقتحم أحد رجال الأمن مكتبه ، وهتف فى توتر :

ـ سيِّدى .. لقد وقع حادث جديد بالمستشفى .

انتفض الرجل ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يهتف :

ـ حادث جديد ؟! .. أى حادث هذا ؟

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، قبل أن يجيب :

ـ قتل ياسيِّدى .. جريمة قتل .

شعر المدير بقلبه يهوى بين قدميه ، اللتين تخاذلتا ، وتركتا جسده الضخم يهوى على مقعده ، وهو يردِّد فى ارتياع :

ـ جريمة قتل أخرى ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم ياسيِّدى .. جريمة قتل أخرى ، وقد تم كشفها بالمصادفة البحتة .

شعر المدير بقلبه يخفق فى عنف ، وهو يسأله :

ـ من ؟.. من لقى مصرعه هذه المرة ؟

أجابه الرجل :

ـ المهندس ياسيِّدى .. مهندس المستشفى .. لقد عثرت عليه قتيلًا فى حجرته ، التى تبعثرت محتوياتها تمامًا ، فهرعت إلى هنا لأخبرك .

سأله المدير فى انهيار :

ـ وهل أبلغت الشرطة ؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ لم أبلغ سواك ياسيِّدى .

لعن المدير حظه العاثر ، وتلك الأيام السوداء ، التى تتوالى فيها الأحداث بلا شفقة أو هوادة ، وشعر بقدميه تعجزان عن حمله إلى حجرة المهندس ، وتمنى لو يقبل وزير الصحة

استقالته من هذا العمل ، ودارت عشرات الأفكار فى رأسه ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها بوق الانذار فى المستشفى ..

وفى هلع ، تطلَّع المدير الى شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص به ، وقرأ على شاشته مايفيد بوقوع حريق فى المستشفى ..

وفى حجرة المهندس بالتحديد ..

وكان من الواضح أن الليلة لن تنتهى على خير ..

أو لن تنتهى أبدًا .

* * *

٧ ـ من ضربة إلى ضربة ..

التقط (نور) أنبوبة الليزر الصغيرة ، من يد ابنته (نشوى) ، وفحصها بعينيه فى هدوء ، ثم قال :

ـ آلة تصوير هولوجرافية !! .. إذن فهذا هو سبب تحطيمه لإطار النافذة عمدًا .

تطلعت (سلوى) إلى وجه زوجها الشاحب الباهت ، وقالت مشفقة :

ـ دعك من كل هذا الآن يا (نور) .. إنك تحتاج إلى النوم بشدة .. أى بشرى لايمكنه مواصلة العمل هكذا بلا انقطاع .. هيا .. اذهب إلى فراشك ، وأعدك أن توقظك ، إذا ما استجد جديد .

تمتم فى إرهاق واضح :

ـ سأحاول يا (سلوى) .. سأحاول .

قال (محمود) :

ـ بل ينبغى أن تفعل يا (نور) .. هناك أمور لايصلح فيها العناد والمكابرة .

كان (نور) يشعر أنهم جميعًا على حق هذه المرة ..

لقد أصابه الإرهاق والإجهاد حتى النخاع ، وفقد عقله قدرته على التركيز والتفكير ، وأصبحت حتى قيادة سيارته الصاروخية أمرًا مرهقًا مضنيًا ..

وهو يحتاج إلى تجديد نشاطه ..

وإلى تنقية ذهنه وفكره ..

وفى استسلام ، قال :

ـ نعم .. أنتم على حق .

ثم اتجه بأقدام ثقيلة إلى حجرة نومه ، وقبل أن يخلف إليها التفت إليهم ، ورفع سبابته لينطق بشىء ما ، فأسرعت (سلوى) تقول :

ـ سنوقظك .. أعدك بهذا ..

لم يستطع حتى إبدال ثيابه .. فاكتفى بخلع حذائه ، وألقى جسده المكدود على الفراش ، ولم تمض لحظات ، حتى كان يغرق فى سبات عميق ..

وفى حنان مشفق ، غمغمت (سلوى) :

ـ كان يحتاج إلى هذا كثيرًا .

وافقها (محمود) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ إنه يواجه قضية بالغة الصعوبة بالفعل هذه المرة .

قالت (نشوى) فى حسم :

ـ كلنا يواجهها يا (محمود) .. لاتنس أننا فريق واحد .

التقطت (سلوى) العبارة ، وقالت :

ـ ما رأيكم لو بحثنا معًا عن وسيلة مناسبة ، للإيقاع بذلك الآلى ؟

قالت (نشوى) فى حماس :

ـ أوافق بشدة ، وأعتقد أن لدى اقتراحًا محدودًا .

سألها (محمود) فى اهتمام :

ـ ما هو ؟

أجابت وحماسها يتزايد :

ـ هل تذكرون قاعة الموجات الكهرومغنطيسية ، التى صنعها رجال مركز الأبحاث حديثًا ، لإجراء تجارب الشوشرة الجديدة ؟

أجابها (محمود) :

ـ بالطبع .. إنها تلك القاعة الواسعة ، المتاخمة للإدارة .

قالت فى حرارة :

ـ نحن نعلم طبيعتها ، وكذلك بعض رجال الإدارة ، أما العامة فهم يتصوَّرون أنها مجرد مبنى جديد ، يتم إضافته للمبنى الرئيسى ، ويجهلون طبيعتها .. أليس كذلك ؟

أومأ مع (سلوى) برأسيهما ، فتابعت هى فى حماس :

ـ هذه القاعة ستكون المصيدة ، التى نوقع فيها بالرجل .

تألقت عينا (محمود) و (سلوى) ، وهتفت الأخيرة فى حماس :

ـ فهمت .. إننا سنـ ..

قبل أن تتم عبارتها ، خفتت أضواء الردهة فجأة ، ثم عادت تتألق من جديد ، فارتبكت (سلوى) فى شدة ، وتبادلت نظرة جزعة مع (نشوى) و (محمود) ، وغمغمت :

ـ إنه لم يستمتع بالنوم بعد .

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ ولكننا وعدناه .

أن صمت ثقيل على المكان ، ثم اتجهت (سلوى) فى حزم إلى مكتبة صغيرة ، فى ركن الحجرة ، وأزاحت بعض الكتب منها ، وهى تقول :

ـ فلنعلم طبيعة المهمة أوّلًا ، ثم نقرِّر ماينبغى أن نفعله ، على ضوء هذا .

وجذبت إليها شاشة كمبيوتر صغيرة ، كانت تختفى خلف الكتب ، وضغطت أحد أزرارها ، فتراصت فوقها بعض الكلمات ، قرأتها فى سرعة ، قبل أن تقول :

ـ إنه حريق بالمستشفى المركزى .. أعتقد أننا نستطيع القيام بهذا العمل .

اعترضت (نشوى) قائلة :

ـ أماه ! .. لقد وعدنا أبى بإيقاظه ، إذا ما احتاج الأمر إلى هذا ، و ...

قاطعتها (سلوى) فى صرامة :

ـ إنه مجرَّد حريق عادى يا (نشوى) ، ولن أوقظ (نور) من أجله .. دعيه ينعم بالنوم قليلًا يا بنيتى ، وسيكون كل شىء على ما يرام .. ثقى بى .

لم تعترض (نشوى) مرة أخرى ..

ولكنها لم تشعر بالارتياح ..

لقد ظل القلق يملأ نفسها ، حتى وصلت مع أمها و (محمود) إلى المستشفى ، وهناك استقبلهم المدير فى لهفة ، وهو يقول :

- أين الرائد (نور) ؟

أجابته (سلوى) :

- إنه فى مهمة خاصة ، وسندرس نحن الأمر .. اطمئن .. إننا جزء من فريقه .

تردد الرجل لحظة ، ثم حسم أمره فى سرعة ، وقال :

- لابأس .. سأريكم حجرة المهندس .. من حسن حظنا أن وسائل الأمن الآلية قد سيطرت على الحريق فى سرعة ، ولكن بعد أن التهم عددا من الوثائق الهامة ، واسطوانات الكمبيوتر الخاصة .

سأله (محمود) ، وهم يتجهون إلى حجرة المهندس :

- وما سبب الحريق ؟

هزّ المدير كتفيه ، قائلا :

- لاأحد يدرى .. لم يبدأ الخبراء فحصهم بعد .

وصل الجميع إلى الحجرة ، وتوقفوا مبهوتين ، أمام الفوضى والدمار ، اللذين حاقا بها ، وغمغمت (نشوى) :

- من الواضح أن الحريق كان متعمدا ، وأعتقد أن مفتعله كان يسعى لتدمير شىء ما .

غمغم المدير :

- إننا نرجح هذا ، ولكن لاأحد يعلم ماهذا الشىء .

أتاه صوت من خلفه يقول :

- أنا أعلم .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، وشهقت (سلوى) هاتفة :

- (نور) ؟!

رمقها (نور) بنظرة غاضبة ، وقال :

- كان ينبغى إيقاظى .

تمتمت شاحبة :

- كيف علمت ؟

أشار إلى ساعة معصمه ، مجيبا :

- إننى أتلقى أكثر من إشارة عادة .

كان يبدو شديد الشحوب والإرهاق ، ولكنه التفت إلى المدير ، يسأله :

- هل احترق الرسم الهندسى للمستشفى ؟

أجابه المدير :

- لست أدرى .. لم نحصر الخسائر بعد .

قال (نور) :

- ولكننى أعتقد أنه السبب الحقيقى للحريق .

شعرت (نشوى) بالضيق وبتأنيب الضمير ، لأنها لم توقظ والدها ، فتركته يتحدث مع المدير ، واتجهت إلى النافذة ، تتطلع منها إلى فناء المستشفى ، فى محاولة لكتمان توترها وضيقها ..

وفجأة لمحتها ..

لمحت سيارة (رمزى) ، التى تقف وسط سيارات الأطباء والزوار ..

وفجأة أيضا هتفت :

- (رمزى) ؟!

التفت إليها الجميع فى تساؤل ، وقال (نور) :

- هل وصل (رمزى) ؟

أشارت إلى السيارة ، قائلة :

- بل هو هنا منذ فترة طويلة ، فسيارته هنا ، وموضعها يشير إلى أنها تقف فى مكانها منذ ساعة على الأقل .

تحرك (نور) فى سرعة إلى النافذة ، وألقى منها نظرة على سيارة (رمزى) ، ثم التقى حاجباه فى شدة ، وراح ذهنه المكدود يعمل بأقصى طاقته ، قبل أن يهتف :

- يا إلهى !

ثم اندفع يعدو فجأة خارج الحجرة ، والمدير يهتف فى دهشة :

- إلى أين أيها الرائد ؟

واصل (نور) عدوه ، دون أن يجيب ، وأسرع (محمود) و(سلوى) و(نشوى) خلفه ، وقلب الأخيرة يخفق فى خوف ولوعة ، مدركا أن (رمزى) يتعرض لخطر ما ، والتقى الأربعة بالدكتورة (جيهان) ، بالقرب من حجرات الطوارئ ، فسألها (نور) فى انفعال :

- (جيهان) .. هل رأيت (رمزى) اليوم ؟

أجابته فى توتر :

- نعم .. لقد حضر لزيارتى اليوم ، ولكننى ذهبت لأعد له قدحا من الشاى ، وعدت فلم أجده .. لاريب أنه رحل ..

هتفت (نشوى) فى ذعر :

- لا .. لم يرحل .. سيارته لاتزال هنا .

ظهرت الحيرة على وجه (جيهان) ، وهى تقول :

- أين ذهبت إذن ؟

قال (نور) فى حزم ، وهو يتجه إلى حجرة العناية المركزة ، التى اختفى فيها (أكرم) :

- ربما أعرف أنا أين .

اقتحم الحجرة فى انفعال ، وأدار عينيه فيها بسرعة ، ثم استقر بصره عند جدارها الوحيد ، الذى يخلو من أجهزة المراقبة والمتابعة الحيوية ، وأشار إليه قائلا :

- هنا .

تطلع الجميع إلى حيث يشير ، وقالت (نشوى) :

- وماذا هناك ؟

التفت (نور) إلى (جيهان) وسألها :

- ألديكم هنا أية أجهزة للفحص بالموجات فوق الصوتية ؟

أجابته فى حيرة :

- نعم .. هاهوذا .

أشار (نور) إلى الجهاز ، وهو يقول لزوجته :

- (سلوى) .. حاولى استخدام هذا الجهاز ، للبحث عن شيء ما ، خلف هذا الجدار .

لم تفهم (سلوى) مايسعى إليه بالضبط ، ولكنها تقدمت من الجهاز ، وأشعلته ، ثم التقطت بوقه العريض ، والصقته بالجدار ، وراحت تمرّره فوقه ، وهى تقول :

- لست أدرى ما إذا كانت موجات هذا الجهاز تكفى أم ..

بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدّق فى شاشة الجهاز فى دهشة ، ثم هتفت :

- يا إلهى !.. توجد حجرة سرية ، خلف هذا الجدار .. انظروا .. ارتداد الموجات فوق الصوتية يختلف فى شدة .

بدا التوتر الشديد على وجه (جيهان) ، وهى تقول :

- حجرة سرية ؟! .. أى قول هذا يا (سلوى) ؟.. إننا فى مستشفى ، ولسنا فى قصر أسطورى مهجور ، حتى نجد حجرات سرية وممرات خفية .

قال (نور) فى حماس :

- ولكن هذه الحجرة موجودة يا (جيهان) .. إنها التفسير الوحيد لاختفاء (أكرم) من الحجرة ، دون أن يمر ببابها .

قالت فى عصبية :

- أنسيت أنه الآلى ، وأنه يستطيع إخفاء نفسه عن الأعين ، بمحاكاة ألوان وأشكال الأشياء ، التى يلتصق بها .

قال (نور) :

- هذا صحيح ، ولكنه لايستطيع المرور من الأبواب دون فتحها ، ولايستطيع السير دون أن يصدر صوتًا .

ثم التفت إلى (نشوى) ، قائلاً :

- هل يمكنك فتح هذه الحجرة السرية ؟

أجابته فى سرعة :

- نعم .. لو عثرتم على رتاجها .

هتفت (سلوى) ، وهى تحرّك بوق جهاز الموجات فوق الصوتية :

- هاهوذا .. لقد عثرت عليه .

أسرعت (نشوى) تخرج من جيبها جهاز الكمبيوتر الصغير ، ودسّت خيطًا إليكترونيًا دقيقًا منه ، فى الثقب الذى عثرت عليه (سلوى) ، فى حين سأل (محمود) (نور) فى دهشة :

- ولكن كيف استنتجت هذا يا (نور) ؟

أجابه (نور) :

- كان هذا هو التبرير الوحيد لقتل مهندس المبنى ، وأحراق الوثائق الخاصة به ، فالرسوم الهندسية كانت ستكشف بسهولة وجود هذه الحجرة ، التى حاول البعض أخفاءها عن الأعين ، لاستغلالها فى أغراض خاصة .

مع نهاية كلماته ، هتفت (نشوى) :

- لقد نجحت .

وفى هدوء ، انزاح جزء من الحائط جانبًا ، وكشف تلك الحجرة السرية ..

وشهقت (نشوى) فى دهشة وهلع ، فأمام عينيها ، كان (رمزى) يرقد على فراش طبى صغير ، وقد سقطت ذراعاه إلى جواره ، واكتسى وجهه بشحوب مخيف ..

شحوب الموتى ..

* * *

لثوان ، لم تستطع (نشوى) ، أو يستطيع أى شخص من الآخرين ، النطق بحرف واحد ، وهم يحدقون فى (رمزى) الصامت الساكن الشاحب ..

وأخيراً هتف (نور) :

- يا إلهى !.. (رمزى) ؟!

ارتجف جسد (نشوى) ، وتجمدت فى مكانها ، فى هلع ورعب ، فى حين اندفع (نور) و(محمود) وسلوى داخل الحجرة ، وأسرع (نور) يفحص (رمزى) ، قبل أن يقول فى ارتياح :

- إنه حى .

وهنا .. هنا فقط أجهشت (نشوى) بالبكاء .

لم تكن تتصور أبدًا أن تفقد (رمزى) ، على هذا النحو .

لم تكن لتحتمل قط فقدان الرجل الوحيد ، الذى أحبته ، فى حياتها كلها .

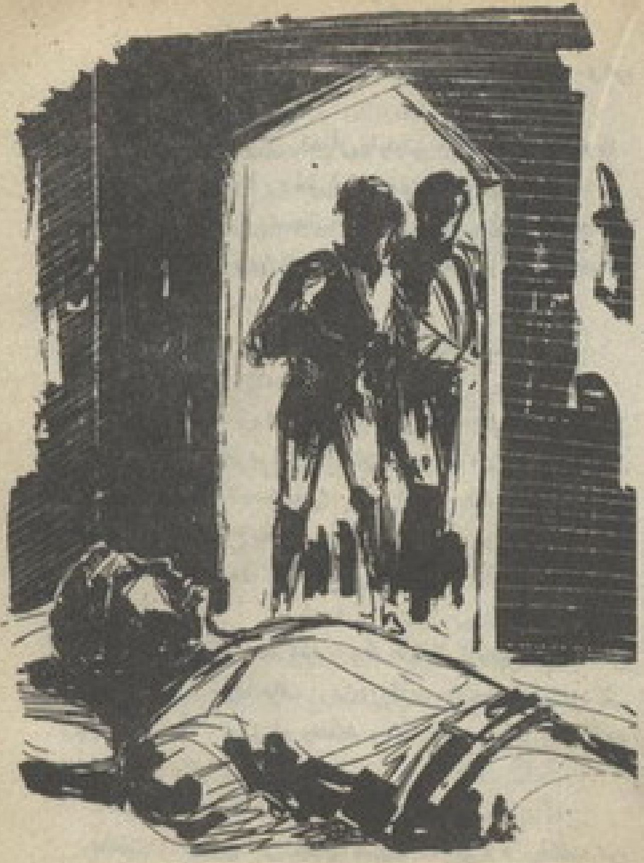

وشهقت (نشوى) فى دهشة وهلع ، فأمام عينيها ، كان (رمزى) يرقد على فراش طبى صغير ..

وبسرعة ، عادت إليها أمها ، واحتوتها بين ذراعيها ، وهى تقول :

ـ اهدأى يا (نشوى) .. اهدأى يا بنيتى .. إنه حى والحمد لله .

رفع (نور) رأسه ، وقال لـ (جيهان) فى توتر :

ـ ولكنه يحتاج إلى إسعاف عاجل وسريع ، فنبضه متسارع على نحو مخيف ، ومن المؤكد أنه يعانى هبوطًا حادًا فى ضغط الدم .

ترددت (جيهان) لحظة ، ثم قالت فى حسم :

ـ سأطلب رجال الإسعاف .

أسرعت تضغط أزرار الاستدعاء ، ولم تمض دقائق ، حتى كانت الحجرة تكتظ برجال الإسعاف ، والأمن ، وعدد من الأطباء ، ومدير المستشفى ، الذى كاد يسقط فاقد الوعى ، أمام كل هذا ، وراح يضرب كفًا بكف ، وهو يردد :

ـ ماذا أصاب هذا المستشفى؟!.. ماذا يحدث هنا بالله عليكم؟

لم ينتبه أحد إلى صراخه ، وقد انشغل الجميع فى فحص الحجرة السرية ، وإسعاف (رمزى)الذى بدأت الدماء تعود إلى وجهه تدريجيًا ، وإن لم يستعد وعيه بعد ، حتى قال أحد الأطباء فى ارتياح مجهد :

ـ سينجو بإذن الله .

أطلقت (نشوى) من حلقها صيحة قصيرة ، وهتفت من وسط دموعها :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

أما (جيهان) ، فقد ظلت صامتة ، تراقب كل هذا فى توتر شديد ، ثم لم تلبث أن تراجعت ، وانسحبت من المكان ، وعادت إلى حجرتها فى خطوات سريعة ، ثم ألقت جسدها على مقعدها الخاص ، خلف مكتبها ، واعتمدت بمرفقيها على سطح المكتب ، ثم أسندت جبهتها إلى راحتها ، وأغلقت عينيها فى قوة ..

ولم تدر كيف بقيت على هذا الوضع ، ولكنها انتفضت فى فزع ، عندما شعرت بيد توضع على كتفها ، والتفتت إلى صاحب اليد فى حركة حادة ، جعلته يتراجع قائلاً :

ـ معذرة .. لم أقصد إفزاعك .

حدقت فى وجهه لحظة ، قبل أن تهتف :

ـ (هيثم) .. لقد فاجأتنى بحق .

ارتبك وهو يقول :

ـ إننى أعتذر مرة أخرى .

لوّحت بكفها ، وتنهدت قائلة :

ـ لا عليك .. لم يحدث ما يسىء .

تطلع إليها فى حنان مشفق ، ثم انحنى نحوها يسألها فى همس :

ـ ماذا بك؟

هزت رأسها متمتمة :

ـ لست أدرى يا (هيثم) .. أشعر بأعصابى متوترة للغاية ، ولكننى أجهل السبب .

جلس على المقعد المجاور لمكتبها ، وهو يسألها :

- هل يمكنك أن تصفي شعورك بالضبط ؟

ثم ابتسم ، مستطردًا في رقة :

- واطمئني .. لن أتقاضى أجرًا .

ابتسمت ابتسامة شاحبة متهالكة ، وهي تقول :

- نعم .. أعلم هذا .

اعتدل قائلًا :

- حسنًا .. صفي لي ما يقلقك إذن ، فربما أمكنني مداواتك .

شعرت بعقلها يكاد ينفجر في أعماقها ، وهي تحاول استجماع أفكارها ، ثم قالت :

- لست أدري يا (هيثم) .. إنني أعجز بالفعل عن وصف مشاعري ، فهناك مشاهد وأصوات تتردّد في ذهني ، وذكريات تمرّ مرورًا عابرًا بخاطري ، وأعجز عن تمييز تفاصيلها ، فلا أدري ما إذا كانت أضغاث أحلام ، أم أحداث حقيقية .. إن عقلي مرتبك في شدة .. صدقني .. أحيانًا أشعر بالرعب .

استمع إليها في قلق ، ثم سألها :

- ماذا تقصدين بعجزك عن تمييز ما يحدث؟

لوّحت بكفها ، قائلة :

- من المؤكد أنك تفهم ما أقصد ، فأنا أرى أحيانًا أشياء ، المفروض أنني أراها لأوّل مرة ، ولكنني أشعر بداخلي وكأنني رأيتها من قبل .. بل أنني المسئولة عن وجودها .. وهذا يتكرّر كثيرًا ، في الأيام السابقة بالتحديد .

تراجع بمقعده ، وتطلّع إليها طويلًا ، قبل أن يقول :

- هل يمكنك تحديد بداية حدوث هذا؟

هزّت رأسها ، وقالت :

- ربما منذ يومين أو ثلاثة .. أو أربعة على الأكثر .. لا يمكنني التحديد بدقة .

أومأ برأسه متفهمًا ، وتمتم في خفوت ، وهو يتطلّع إلى الأرض :

- ربما كنت بحاجة إلى علاج نفسي يا (جيهان) .

أجابته في مرارة :

- أنا واثقة من هذا ، ولكنني أجهل ما أعاني منه .

ردّد في خفوت :

- سكيزوفرانيا (*)

تراجعت كالمصعوقة ، هاتفة :

- أنا ؟!.. أتعني أنني .

أومأ برأسه إيجابًا ، قبل أن تتم عبارتها ، وقال :

- نعم يا (جيهان) .. أنت تحملين في أعماقك شخصية أخرى .. شخصية تجهلين وجودها تمامًا .

وكانت المفاجأة قاسية .

* * *

(*) سكيزوفرانيا = الاسم العلمي لحالات انفصام الشخصية ، عندما يتحول الشخص في أعماقه إلى شخصين منفصلين ، بسبب الضغوط النفسية أو الاجتماعية التي يتعرض لها في حياته ، ويطلق عليها اسم (شيزوفرانيا) ، وهي تسمية خاطئة .

٨ ـ ضربة مزدوجة ..

استندت (نشوى) فى صمت إلى حاجز حجرة العناية المركّزة ، وتطلّعت بعينين دامعتين إلى (رمزى) ، وهو يرقد غائبًا عن الوعى ، وقد اتصلت قارورة محاليل بأوردته ، وراح المحلول الشفاف ينساب إلى دمائه فى بطء .

كانت تعلم أنها تحبه ، كما لم تحب شخصاً من قبل .

وأنه يحبها ..

وربما أكثر مما تحبه هى ..

وفى صمت ، تركت دموعها تنساب على وجنتيها ، حتى سمعت صوت (جيهان) من خلفها ، تقول فى خفوت :

ـ اطمئنى .. سينجو بإذن الله ، فإصابته ليست بالخطيرة .

التفتت إليها (نشوى) ، تسألها فى أسى .

ـ لماذا تحتجزونه فى حجرة العناية المركّزة إذن ؟

هزّت (جيهان) كتفيها ، وقالت :

ـ مجرّد إجراء وقائى ، فهو هنا حتى يستعيد دعيه فحسب .

عادت (نشوى) تتطلّع إليه ، قائلة :

ـ وهل سيستعيده حقًا ؟!

أجابتها (جيهان) :

ـ بإذن الله ، فلقد حقنه أحدهم بجرعة كبيرة من عقار

قوى ، مضاد لضغط الدم المرتفع ، فانخفض ضغط دمه إلى درجة بالغة الخطورة ، وكاد يلقى حتفه بالفعل ، لولا أن أنقذه والدك .

تمتمت (نشوى) :

ـ حمدًا لله .

ألقت (جيهان) نظرة طويلة على (رمزى) ، وانتابتها فجأة مشاعر متناقضة عجيبة ، راحت تتصارع فى ضراوة ، فى أعمق أعماقها ..

كانت ترغب فى إنقاذه من غيبوبته ، ولكن جزءًا منها كان يشعر وكأن نجاته تمثل خطورة شديدة عليها ..

واضطربت (جيهان) مع ذلك الصراع النفسى داخلها ، وراحت أصابعها ترتجف ، ثم هتفت فجأة ..

ـ لا .

التفتت إليها (نشوى) فى دهشة ، وسألتها فى قلق :

ـ ماذا حدث يا (جيهان) ؟

حدّقت فيها (جيهان) لحظة بعينين زائغتين ، ثم قالت فى حدة .

ـ لا شىء .. لم يحدث أى شىء .

ثم ألقت نظرة حادة على (رمزى) ، واندفعت مغادرة المكان فى عنف ، وراحت تقطع ممر المستشفى فى خطوات أقرب إلى العدو ، حتى بلغت حجرتها ، فأغلقت بابها خلفها فى قوة ، واستندت إليه وهى تلهث فى انفعال شديد ..

وراح الصراع فى أعماقها يقوى ويشتد ، وهى تتطلع فى خوف مبهم إلى دولابها الخاص ، وقلبها ينبض فى عنف ..

وفجأة راح اضطرابها يهدأ ويتلاشى فى بطء ، وهدأت أنفاسها اللاهثة ، ثم انخفضت ضربات قلبها ، واتجهت فى بطء نحو دولابها ، وفتحته .

وعلى الرغم من استحالة التمييز ، فقد كانت (جيهان) تعلم ماذا يختفى فى أعماق دولابها الخاص ..

إنه الزى ..

زى الآلى القاتل ..

* * *

لوّحت (سلوى) بكفها فى حماس ، وهى تقول لـ(نور) :

ـ صدقنى يا (نور) .. إنها فكرة رائعة .. سنجتذب ذلك الآلى بوسيلة ما ، إلى قاعة الترددات الكهرومغنطيسية ، وهناك سنحيطه بغلاف من الطاقة ، نسجنه داخله ، ثم نستخدم الأسلحة الحديثة فى الإيقاع به .

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لايمكننا فعل هذا يا (سلوى) .

هتفت :

ـ لماذا ؟.. لقد درست الخطة مع (محمود) ، وكلانا يراها مثالية ، فسجنه داخل غلاف الطاقة ، يمكننا إحاطته بالغازات المنوّمة ، أو السامة لو اقتضى الأمر ، ولمدة أسبوع متصل .. وهذا سيضطر للاستسلام حتمًا ، إلا لو كان رجلًا آليًا بالفعل .

أجابها وهو يسبل جفنيه ، ويسترخى فوق فراشه :

ـ إنه ليس آليًا ، ولقد أيقنت من هذا تمامًا ، عندما واجهته فى قاعة المحاكمات الكبرى ، فقد كان يغضب وينفعل ، ويأتى بردود أفعال بشرية ، لايمكن أن يمتلكها شخص آلى ، مهما بلغت دقة صنعه .

سألته فى فضول :

ـ وماذا عن صوته المعدنى الرنّان ؟

أجاب فى تراخ :

ـ إنه يستخدم جهازًا خاصًا ، يترجم صوته إلى ترددات آلية ، تمنحه ذلك الرنين المعدنى ، وتجعلنا نعجز عن تمييز صوته الحقيقى .

تحسست شعره ، وهى تقول :

ـ لماذا لايمكننا الإيقاع به إذن ؟

بدا صوته وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، وهو يقول :

ـ بسبب القنبلة .

رددت فى دهشة :

ـ القنبلة ؟!.. أية قنبلة يا (نور) ؟

ولكنه لم يجب تساؤلها هذه المرة ..

كان قد غرق ..

غرق فى نوم عميق ..

* * *

سعل (رمزى) بصوت خافت ، فهبّت (نشوى) من مقعدها ، واندفعت نحوه ، وقالت فى لهفة :

- (رمزى) .. هل استعدت وعيك؟

رفع (رمزى) جفنيه المرهقتين ، وتطلّع إليها لحظة ، ثم تمتم فى تهالك :

- (نشوى) .. أهو أنت؟

أجابته فى حنان مشفق عطوف :

- نعم يا(رمزى) .. إنه أنا؟

احتوت كفه فى راحتها ، وضغطتها فى رفق ، وكأنها تبثه حبها وحنانها ، وشعرت أنه يبذل جهدًا ضخمًا ، ليبقى على وعيه ، وهو يقول :

- (نور) .. أين .. أين (نور)؟

رَبتت على جبهته فى حنان ، وهى تقول :

- إنه ليس هنا .. لقد ذهب إلى الإدارة ، وسيعود بعدها إلى المنزل .

تخاذل جفناه ، وسقطا على عينيه ، وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يقول :

- ولكن .. ولكن ينبغى أن .. أن يعلم .

سألته فى مزيج من القلق والحيرة :

- يعلم ماذا؟

تسارعت أنفاسه ، وهو يقاوم تلك الغيبوبة ، التى تحيط برأسه ، فعادت تسأله فى قلق أكثر :

- يعلم ماذا يا (رمزى) ؟.. ما الذى يجب أن يعلمه أبى .

جاهد (رمزى) ليفتح جفنيه ، وهو يقول :

- جيهان .. إنها .. إنها ..

لم يستطع اتمام عبارته ، فقالت (نشوى) فى توتر :

- إنها ماذا يا (رمزى) ؟.. ماذا عن (جيهان) ؟

فوجئت بعيناه تتسعان ، وهو يقول فى ذعر :

- خلفك .. إنها خلفك .

ردّدت فى دهشة :

- خلفى .

ثم التفتت خلفها بحركة حادة ، والتقت عيناها بعينى (جيهان) الجامدتين لحظة ، قبل أن تطلق (جيهان) ذلك الرذاذ المخدّر فى وجهها ..

وشهقت (نشوى) فى دهشة وذعر ..

ومع شهقتها ، استنشقت الغاز المخدّر كله ..

وفى لحظة واحدة ، كانت تسقط على الأرض فاقدة الوعى ..

وهنا اتسعت عينا (جيهان) فى ذعر ، وسقطت بخاخة المخدّر من يدها ، وهى تقول فى ارتياع :

- رباه !.. ماذا فعلت ؟.. ماذا فعلت ؟

وكان هذا آخر ماسمعه (رمزى) منها ، قبل أن يفقد وعيه مرة ثانية ..

* * *

حتى وهو غارق فى النوم ، لم يهدأ عقل (نور) عن التفكير ..

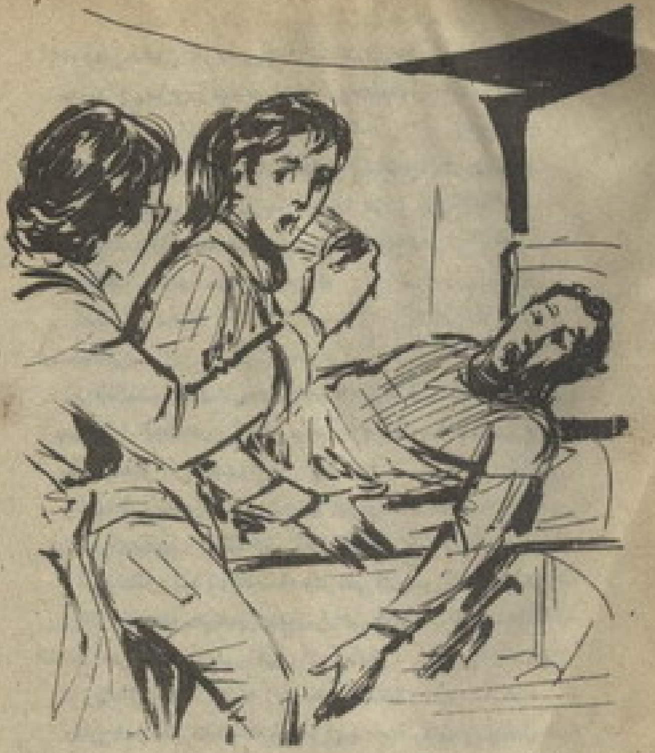

ثم التفتت خلفها بحركة حادة ، والتقت عيناها بعيني (جيهان) الجامدتين لحظة ، قبل أن تطلق (جيهان) ذلك الرذاذ القذر في وجهها ..

أحلامه كلها كانت استرجاعًا لكل ما حدث منذ البداية ..

كل الأحداث ..

والتحقيقات ..

والحوادث ..

كل ما رآه ، أو سمعه ، أو قرأه ..

كل كلمة ..

بل كل حرف ..

وفى أحلامه راح يرتب الحوادث والملابسات والظروف ..

والعجيب أن عقله كان يفعل هذا فى إتقان تام ، كما لو كان مستيقظًا ، يدرس كل شيء فى عناية بالغة ..

كانت حالة عجيبة ، من حالات صفاء الذهن ، التى تمرّ بالنائم ، فترشده إلى حل مشكلة عويصة ، أو مسألة رياضية صعبة ..

ومع هذا الصفاء الشديد ، بدأت بعض الحقائق تتراص إلى جوار بعضها البعض ، وتصنع علاقات وروابط جديدة ..

ثم راحت تلك العلاقات تتماسك أكثر وأكثر ..

وفجأة تحوّل الأمر إلى حلم حقيقى ..

حلم رأى (نور) نفسه فيه ، يسير فى قلب المستشفى ..

ثم ظهر الآلى ..

ظهر أمام حجرة (أكرم) ، وسأله بصوته المعدنى الرنان :

- إلى أين أيها الرائد ؟

بدا هو خفيفًا رشيقًا ، وهو يتجه نحوه ، قائلًا :

- لن يمكنك اعتراضى الآن .. لقد كشفت أمرك .

لوح الآلى بكفه ، قائلًا :

- مستحيل !.. لن يمكنك هذا أبدًا .

وفى بطء ، راح ضباب كثيف ينتشر ، فى ممرات المستشفى ، و (نور) يقول :

- خطأ .. لقد كشفت أمرك بالفعل .. صحيح أنك تلعب اللعبة فى مهارة بالغة ، ولكنك وقعت فى نفس الأخطاء ، التى يقع فيها كل مجرم ، وكشفت أمرك .

عقد الآلى ساعديه أمام صدره ، وقال :

- أخبرنى إذن من أنا .

قال (نور) فى حزم ، والضباب يزداد كثافة وانتشارًا :

- سأخبرك .. أنت ..

لم يكد ينطق الاسم ، حتى استيقظ عقله كله بغتة ..

استيقظ دفعة واحدة ، كما لو أن غطاء النوم قد سقط عنه دون إنذار ..

وفى حركة حادة ، نهض (نور) جالسًا على فراشه ، وتألقت عيناه فى شدة ، وهو يقول :

- يا إلهى !.. هذا صحيح .

أسرعت (سلوى) إلى الحجرة ، مع صيحته المرتفعة ، وفوجئت به يرتدى ثيابه فى سرعة ، فسألته فى قلق :

- (نور) .. ماذا حدث ؟!.. إنك لم تحصل على قدر كاف من النوم ، و ...

بترت عبارتها وهى تحدق فى عينيه مباشرة ..

كان هناك ذلك البريق ، الذى لم تره منذ زمن طويل

بريق عينيه ..

ذلك البريق الذى يعنى الكثير .. الكثير جدًا ..

وبالذات بالنسبة لرجل مثل زوجها (نور) ..

وفى لحظة واحدة ، هبط عليها ذلك الفضول الأنثوى الشديد ، الذى جعلها تهتف :

- (نور) .. لقد توصلت إلى الحل .. أليس كذلك ؟.. أليس كذلك يا (نور) ؟

اختطف سترته الجلدية ، وارتداها على عجل ، وهو يندفع نحو الباب ، قائلًا :

- بلى يا (سلوى) .. لقد توصلت إليه .

انطلقت تعدو خلفه ، من شدة لهفتها ، وهى تهتف :

- من هو يا (نور) ؟.. من ؟

ولكنه غادر المنزل فى خطوات سريعة ، ووثب داخل سيارته الصاروخية ، وانطلق بها مبتعدًا ، وهى تصرخ خلفه :

- من يا (نور) ؟.. من ؟

رأته يختفى فى نهاية الطريق ، فعقدت حاجبيها فى غضب ، ووضعت يديها فى وسطها ، هاتفة :

- حسنًا يا (نور) .. هأنتذا تعاود أسلوبك السخيف .

ثم طوّحت شعرها فى سخط ، مستطردة :

- سيقتلنى الفضول قبل عودتك .

ولم يكن (نور) فعليًا يشعر بذلك الفضول ، الذى يكاد يلتهم زوجته التهامًا ..

كان كل مايملأ رأسه هو الآلى ، وضرورة الإيقاع به ، قبل أن يجد الفرصة لإشعال القنبلة النووية ..

هذا هو الأمل الوحيد ..

وبضغطة زر على جهاز الكمبيوتر الصغير ، المتصل بهاتف السيارة ، تم الاتصال بينه وبين القائد الأعلى والدكتور (ناظم) فى آن واحد ، وعبر قناة خاصة ، وبأسلوب شفرى لايمكن ترجمته ..

وانقسمت شاشة الجهاز إلى قسمين ، ظهر عليهما وجها الرجلين ، وبدأ القائد الأعلى الحديث ، وهو يقول :

ـ ماذا هناك يا (نور) ؟.. أنت تعلم أن هذه القناة بالغة السرية ، وينبغى عدم استخدامه إلا فى أدق الظروف .

قال (نور) فى لهفة :

ـ أعلم هذا ياسيِّدى ، والموقف الآن بالغ الخطورة بالفعل .

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ أى موقف هذا يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ لقد توصَّلت إلى شخصية الآلى .. أقصد من ينتحل شخصية الآلى .

كان للعبارة وقع الصاعقة على الرجلين ، فهتف الدكتور (ناظم) فى لهفة :

ـ من هو يا (نور) ؟.. من هو ؟

قال (نور) :

ـ سيدهشك أن تعرف ياسيِّدى .

وألقى إليه بالاسم ، فاتسعت عينا الرجلين فى دهشة ، وقال القائد الأعلى :

ـ مستحيل !.. لم أتوقع هذا قط ! أأنت واثق يا (نور) ؟

قال (نور) فى سرعة :

ـ تمام الثقة ياسيِّدى ، وأنا أهرع الآن إلى المستشفى ، لحسم الأمر ، فلابد من إتمام العملية ، قبل أن تضيع الفرصة .

سأله القائد الأعلى :

ـ وماذا ستفعل ياولدى ؟

أجابه (نور) ، وهو يعبر باب المستشفى :

ـ سأحاول منع الدمار بأى ثمن ياسيِّدى .

لم يكن هناك وقت لشرح مالديه بالتفصيل ، فاكتفى بالقول :

ـ وأرجو إرسال فرقة كاملة لتدعيم الموقف .. أما الآن فمعذرة ياسيِّدى ، سأضطر لإنهاء الاتصال .

قالها وهو ينهى الاتصال بالفعل ، ويقفز من سيارته ، ويسرع نحو المستشفى ..

وفى سرعة ، بلغ حجرة (رمزى) ، ودخلها فى نفس اللحظة ، التى استعاد فيها هذا الأخير جزءًا من وعيه ، فسأله فى اهتمام :

ـ (رمزى) .. أين (نشوى) ؟

فتح (رمزى) عينيه ، وتطلَّع إليه فى تهالك ، قبل أن يقول بصوت شاحب :

- (نور) .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

سأله (نور) فى قلق :

- أين (نشوى) يا (رمزى) ؟

ردد (رمزى) فى صعوبة :

- (جيهان) .. إنها .. لقد .. لقد ..

ربت (نور) على صدره مطمئنًا ، وهو يقول :

- اطمئن ياصديقى .. لقد توصلت إلى الحقيقة كلها ، وعرفت كل شىء .. عرفت حتى أين أجد (أكرم) ..

تمتم (رمزى) :

- الحقيقة !.. ولكن (نشوى) يا (نور) .. ابنتك .. أنقذها .

هتف (نور) :

- أنقذها ؟!.. ماذا حدث يا (رمزى) ؟.. ماذا أصابها ؟

ولكن (رمزى) تهالك دفعة واحدة ، وعاد إلى غيبوبته العميقة ، فصاح (نور) :

- ماذا أصابها يا (رمزى) ؟

أدرك على الفور أن (رمزى) لن يستعيد وعيه قبل فترة طويلة ، فاعتدل هاتفًا :

- اللعنة !

واندفع مغادرًا الحجرة ، ولكنه التقى خارجها بالمدير ، الذى هرع إليه هاتفًا :

- مرحبًا أيها الرائد .. لقد أخبرنى رجال الأمن أنك هنا ، فأتيت لـ ..

فوجئ بـ (نور) يتجاوزه ، ويعدو عبر الممر الطويل ، فهتف فى جزع :

- إلى أين أيها الرائد .. ماذا حدث ؟

لم يجب (نور) ، حتى بلغ حجرة العناية المركزة الأولى ، التى لم يتم إصلاح ما أصابها من دمار بعد ، واتجه نحو الجدار المشابه ، لذلك الذى يحوى مدخل الحجرة السرية ، فى الحجرة الثانية ، وراح يضربه بقدميه ، ويتحسسه فى لهفة ، حتى لحق به المدير ، مع ثلاثة من طاقم الأمن ، وسأله فى توتر شديد :

- ماذا هناك أيها الرائد ؟.. ماذا حدث ؟

أزاحه (نور) جانبًا ، وهو يستل مسدسه الليزرى ، قائلًا :

- ابتعد .

تراجع الرجل فى دهشة ، واستل رجال الأمن الثلاثة مسدساتهم الليزرية فى حركة متوترة ، فى حين صوب (نور) مسدسه إلى نقطة قدرها بذاكرته ، فى ذلك الجدار ، وأطلق أشعته مرة ، وثانية .. وثالثة ..

وفى المرة الرابعة أصابت الأشعة هدفها ..

وتحطم رتاج حجرة سرية أخرى ..

واتسعت عيون الجميع ذهولًا ، عندما انزاح جزء من الجدار ، كاشفًا حجرة شديدة الشبه بحجرة العناية المركزية الأولى ، ولكنها أصغر حجمًا ، وتحوى أجهزة أقل ..

وعلى الفراش الصغير ، فى تلك الحجرة ، رقد (أكرم) فاقد الوعى ، وفى المساحة الخالية ، بين فراشه والجدار المقابل سقطت (نشوى) ..

وبكل اللهفة فى أعماقه ، اندفع (نور) نحو ابنته ، وراح يفحصها فى توتر ، وهتف المدير ذاهلا :

- ماذا يحدث فى هذا المستشفى ؟!

صاح (نور) :

- اطلب طاقم الاسعاف أولا ، وسأشرح لك كل شىء فيما بعد .

حدق المدير لحظة فى (أكرم) ، ثم تراجع هاتفا :

- ألم تسمعوا ؟.. استدعوا رجال الإسعاف بسرعة .

أسرع أحد الحراس الثلاثة يلبى الأمر ، ويتصل بطاقم الإسعاف ، فى حين أخرج المدير منديله ، وراح يجفف عرقا وهميا عن جبهته ، وهو يقول :

- ماذا يحدث بالله عليك ؟.. كيف عاد (أكرم) هذا ؟.. وما الذى أتى به وبابنتك إلى هنا ؟.. وكيف صنعوا هذه الحجرة ؟

أجابه (نور) فى توتر :

- هذه الحجرة موجودة منذ البداية .. إنها التفسير المنطقى لاختفاء (أكرم) ، على الرغم من عدم مغادرته المستشفى .. ثم أن الحجرتين متشابهتان ، ولو لم توجد حجرة سرية هنا أيضا ، لكان ينبغى أن تكون هذه الحجرة أكثر اتساعا من الأخرى .

سأله المدير فى ذهول :

- ولكن .. أليس (أكرم) هذا هو .. هو .

وعاد يجفف عرقه الوهمى ، مكملا فى توتر :

- لم أعد أفهم شيئا .

وصل رجال الإسعاف والأطباء ، فى خذخ اللحظة ، وراحوا يفحصون (نشوى) ويسعفونها ، وقال أحدهم :

- حمدا لله .. إنها مخدرة فحسب ..

وصل (هيثم) و (جيهان) فى اللحظة نفسها ، وشحب وجه (جيهان) ، وهى تتطلع إلى الحجرة الثانية ، وإلى رجال الإسعاف ، الذين يحاولون إنعاش (نشوى) ، فى حين هتف (أكرم) :

- يا إلهى !.. حجرة سرية ثانية ؟!

قال (نور) فى توتر :

- أتعشم أن تكون الأخيرة .

سعلت (نشوى) فى هذه اللحظة ، فالتفت إليها (نور) فى جزع ، وسأل أحد الأطباء فى لهفة :

- ماذا بها ؟

أجابه الرجل فى ارتياح :

- اطمئن .. إنها تستعيد وعيها .

فتحت (نشوى) عينيها ، فى اللحظة نفسها ، وقالت :

- أبى .. أأنت هنا ؟

تحسس (نور) جبهتها فى حنان ، وهو يقول :

- نعم يا ابنتى العزيزة .. أنا هنا .

أدارت (نشوى) عينيها فى وجوه الحاضرين ، ثم أطلقت شهقة مكتومة ، عندما وقع بصرها على (جيهان) ، وهتفت :

- أبى .. ألق القبض عليها .. هى التى فعلت كل هذا .

تراجعت (جيهان) كالمصعوقة ، وهى تهتف :

- أنا ؟!

نهض (نور) فى سرعة ، وهو يقول :

- لا يا (جيهان) .. إنها لا تقصدك حتمًا .

وتحرك فى خفة وحذر نحو (جيهان) ، وهو يستطرد فى هدوء ، محاولاً عدم إثارة أعصابها :

- إنه هذيان المخدر فحسب .

هتفت (نشوى) :

- أبى ؟!.. ماذا تقول ؟

ولكن (نور) تحرك فجأة ، وانقض على شخص محدود بالحجرة ..

الشخص الذى ينتحل منذ البداية شخصية الآلى ..

* * *

٩ - المسئول ..

انتهى القائد الأعلى من إصدار أوامره المباشرة ، لفرقة من فرق القوات الخاصة ، لتلحق بـ(نور) فى المستشفى ، مع تسليح كاف ومناسب ، ثم أطلق زفرة متوترة ، والتفت إلى الدكتور (ناظم) ، يسأله :

- أتظن (نور) ينجح فى هذا ؟

تردد الدكتور (ناظم) لحظات ، ثم أجاب فى حذر :

- لو أحسن استغلال عامل المفاجأة ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

- أريد ردًا حاسمًا .

أجاب الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- لست أدرى .

بدا الغضب على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

- ماذا تعنى بأنك لست تدرى ؟

تنهد الدكتور (ناظم) ، وقال :

- الأمر يعتمد على عدة نقاط بالغة الأهمية .. أولها : هل استنتاج (نور) صحيح أم لا .

قال القائد الأعلى فى حزم :

- أنا أثق فى هذا .

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، ثم أكمل دون تعليق :

ـ وثانيا : هل سيكون الآلى داخل ملابسه أم خارجها ، عندما يلتقى به (نور) ، والفارق هنا رهيب للغاية ، فالقنبلة النووية تكمن فى الزى الآلى نفسه .

سأله القائد فى اهتمام :

ـ وثالثا ؟

مط الدكتور (ناظم) شفتيه ، وقال :

ـ ثالثا هذا يعتمد على عقلية الآلى ، وهل وضع فى اعتباره احتمال كشف أمره أم لا ؟!..

التقى حاجبا القائد الأعلى ، وراح يحك ذقنه بسبابته لحظات ، قبل أن يقول :

ـ إنك تضاعف من قلقى وتوترى .

تنهد الدكتور (ناظم) مرة ثانية فى عمق ، وقال :

ـ إنها الحقيقة ياسيدى ، فنحن الآن عند عنق الزجاجة ، وإما أن ينجح (نور) فى مهمته تماما ، أو ..

حبس الكلمات فى صدره لحظة ، ثم تابع بصوت مرتجف :

ـ أو أننا نشهد اللحظات الأخيرة من حياة (القاهرة الجديدة) .

وتضاعف قلق القائد الأعلى أكثر ..

* * *

كانت مفاجأة مذهلة للجميع ، عندما انقض (نور) بغتة

على (هيثم) ، وأحاط عنقه بذراعه اليسرى ، ثم لوى ذراعه خلف ظهره ، وهتفت (جيهان) فى ذعر :

ـ ماذا تفعل يا (نور) ؟

أما (هيثم) فقاوم بجسده النحيل الضئيل ، وصرخ :

ـ هل جننت يا رجل ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ بل أنت المجنون يا رجل .. أنت من يستحق العلاج النفسى بالفعل .

صاح (هيثم) فى غضب :

ـ إننى أنا الطبيب النفسى .

قال (نور) فى حدة :

ـ بل أنت الآلى القاتل ، الذى تصوّر نفسه رسولًا للعدالة ، وراح يقتل ويدمّر بلا رحمة أو هوادة .

حدق الجميع فى (هيثم) بذهول ، وردّدت (نشوى) :

ـ الآلى ؟!.. هو ؟!

أما المدير ورجال الأمن الثلاثة والأطباء ، فقد بلغت دهشتهم ذروتها ، وقال المدير فى ارتياع :

ـ الدكتور (هيثم) هو الآلى ؟!.. كيف ؟.. إنه ضئيل ضعيف ، و ..

قاطعه (نور) :

ـ ربما كان هذا هو السبب فيما أصابه .. السبب فى عقدته النفسية ، التى سيطرت عليه ، ودفعته لفعل كل هذا .. إنه ضئيل

ضعيف ، يعجز عن التصدى للأقوياء ، الذين يعيثون الفساد من حوله ، أو يتجاهلونه تمامًا .. هذا ما صنع عقدته ، ورغبته فى التفوق والقوة ، حتى ينتقم من كل من يسيئون إليه وإلى المجتمع ، مثل (وليد سالم) ، الذى يغازل خطيبته بكل وقاحة ، والذى أعد خطته للتخلص منه ، وتلويث سمعته كلها ، عقابًا له على ما فعل.

استكان (هيثم) بين ذراعى (نور) ، واستسلم على نحو عجيب ، وكأنه يستمع إليه فى اهتمام بالغ ، فى حين هتف المدير :

- ولكن كيف ؟.. كيف فعل كل هذا ؟

أجابه (نور) :

- باستخدام التنويم المغناطيسى يا رجل .. إنه المعالج النفسى الوحيد للجميع ، بما فيهم طاقم المستشفى ، وعلماء مركز الأبحاث ، ورجال الأمن .. وفى جلساته معهم ، وهم يستسلمون له تمامًا فى عيادته النفسية ، أخضعهم للتنويم المغناطيسى ، وراح يحصل منهم على أدق الأسرار العلمية والعسكرية ، ويدفعهم لتنفيذ أوامره ، أو الخضوع له تمامًا ، وبهذا حصل على زى الحرباء القتال ، الذى يؤمن له تغيير ألوان جسده بدقة مذهلة ، وانتحال هيئة الأشياء المحيطة به ، وبأدوات مشروع (سيبورج) ، الذى منحه القوة الزائدة ، ودفع القسم الهندسى لصنع الحجرتين السريتين ، وحصل من (وليد) على كل ما يريد من أدوات طبية وعملية ، ثم غرس فى عقله ضرورة الدفاع عن هذا السر بحياته ، وجعله يقاتل فى

شراسة ، ويحاول قتلى .. وبالتنويم المغناطيسى أيضًا أقنع (مشيرة) أنها رأت عينى (أكرم) ، بدلًا من عينيه هو ، ثم راح ينسج الخيوط كلها ، بحيث يبدو وكأن (أكرم) هو الذى يستعيد وعيه ، ويفعل كل هذا ، ليربكنا ، ويثير حيرتنا .

قالت (جيهان) بصوت مرتجف :

- ولكننى رأيت الآلى بنفسى ، وكان (هيثم) معى ، و..

قاطعها (نور) :

- هذا أيضًا من تأثير التنويم المغناطيسى ، فأنت واحدة من ضحاياه .. لقد استخدمك دائمًا لتغطيته ، وكان يدفعك لفعل أشياء ترفضينها ، وأقنعك برؤية الآلى ، وبقتاله معه ، ثم تمادى فى خدعته بمهارة وجرأة ، وضغط أصابع الآلى المعدنية على ذراعه ، ليترك أثرًا يمكنه تبرئته فيما بعد ، وهذه الخدعة كانت بارعة بالفعل ، حتى أنها أثارت ارتباكى وحيرتى ، ولم يفوقها سوى خدعة توقفه عن القتال ، عندما خاطبته (مشيرة) فى قاعة المحاكمات ، باعتبار أنه (أكرم) .. كان هذا وحده يكفى لإقناعنا بأن (أكرم) بالفعل هو الذى وراء كل هذا .

قالت (نشوى) فى حيرة :

- ولكن ماذا عن اختفاء (أكرم) المتكرِّر ؟

أجابها (نور) :

- ستجدين الجواب فى أنبوبة الليزر ، التى عثرتم عليها بين الحطام يا (نشوى) .. لقد افترضتم جميعًا أن مهمتها هى إظهار صورة (أكرم) ، فى الوقت الذى يغادر فيه الحجرة ، ولكن العكس هو الصحيح .. لقد كانت مهمتها الحقيقية هى صنع

صورة هولوجرافية زائفة للحجرة كلها ، يبدو فيها (أكرم) مستلقيًا ، وفراشه خاليًا ، فى حين أن (أكرم) لم يغادر فراشه أبدًا ، إلا عندما اختطفه (هيثم) ، ونقله إلى الحجرة السرية الثانية ، بعد أن قررنا إحاطة جسده بأجهزة المراقبة والفحص ، التابعة للإدارة ، والتى كانت ستكشف سره حتمًا .

قال المدير فى توتر :

ـ ولكن الممرضة رأت (اكرم) ينهض ، ويهاجمها .

أجابه (نور) بسرعة :

ـ لاتنس أن (هيثم) زارها قبل هذا ، ومن المؤكد أنه أخضعها للتنويم المغنطيسى ، دون أن تدرى ، وجعلها تتصوّر مارأت .

التفتت (جيهان) الى (هيثم) ، وهتفت :

ـ هذا غير صحيح .. إنها مجرّد استنتاجات سخيفة .. أليس كذلك يا (هيثم)؟ .. أليس كذلك؟

عدّل (هيثم) منظاره الطبى ، وقال فى حزم :

ـ كلا .. إنها الحقيقة .

تراجعت هاتفة فى ارتياع :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

قال فى حدة :

ـ لايوجد مستحيل .. إننى أشعر دائمًا بالضعف والهوان ، وأحلم طيلة عمرى بالقوة والسطوة والبأس .. وأحلم بتطبيق قانونى الخاص ، وتحقيق العدالة ، التى يفتقر إليها القانون البشرى .. ولقد حاولت عدة وسائل أخرى .. سعيت طويلًا لتقوية نفسى بالتدريبات الرياضية ، والعقاقير الحديثة ، ولكن كل هذا ذهب سدى .. طبيعة جسدى كانت تحتم ضآلتى وضعفى .

وبرقت عيناه فى شدة ، وهو يتابع :

ـ ثم خطرت تلك الفكرة العبقرية ببالى .. الجميع يعانون المتاعب النفسية ، بعد رحيل الغزاة .. الكل يطلب العلاج النفسى فى العالم الجديد ، مع متاعب إعادة البناء والصراع المادى والمعنوى .. وكل العظماء والقادة والعلماء يرقدون أمامى ، على منضدة الفحص ، ويستسلمون لى تمامًا ، ويخضعون للتنويم المغنطيسى دون مقاومة تذكر ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يستطرد :

ـ وهنا برزت الفكرة فى رأسى .. فكرة عبقرية تمامًا .. أستطيع أن أبحث عن القوة فى عقولهم .. فى الأسرار التى يحتفظون بها ، والتى يملكونها ..

قال (نور) فى اهتمام :

ـ ولكن كيف أقنعتهم بكشف مالديهم من أسرار ، علمًا بأن الإنسان لايفعل ، وهو تحت تأثير التنويم المغنطيسى ، مالايفعله فى وعيه ؟!(*)

أطلق (هيثم) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ هنا تكمن العبقرية يارجل .. إننى لاأخضع لتلك النظريات والأفكار الجامدة العتيقة ، وإنما أسعى دائمًا لتطويرها والدوران حولها ؛ للتغلب على مشكلاتها .. وفى هذه القضية بالذات وجدت حلًا رائعًا ، فأنت مثلًا لايمكنك كشف أية أسرار

(*) حقيقة علمية .

تفحص المخابرات العلمية لى ، حتى وأنت تحت تأثير التنويم المغنطيسى ؛ لذا فلن أحاول سؤالك عن هذه الأسرار ، وإنما سأوهمك أننى قائدك الأعلى فحسب ، وعندئذ ستجد من السهل أن تخبرنى بكل مالديك من معلومات ، مادمت فى نظرك قائدك الأعلى ، الذى من الطبيعى أن تمنحه كل أسرار العمل .

قال (نور) :

- فكرة عبقرية بحق .

لوّح (هيثم) بكفه ، وقال :

- من الواضح أننى لست العبقرى الوحيد هنا ، فلقد كشفت أنت السر ، على الرغم من كل الاحتياطات التى اتخذتها .

قال (نور) :

- لم يكن ذلك سهلاً .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد :

- فى البداية اعتبرتك المشتبه فيه رقم واحد ، ثم أربكنى أمر حصولك على الأسرار ، وذلك المشهد الذى أقنعت فيه (جيهان) بأنها رأتك تقاتل الآلى .

سأله (هيثم) :

- وما الذى جعلك تعود إلى اشتباهك بأمرى ؟

أجابه (نور) فى حزم :

- بل إلى اليقين من أنك المسئول عن كل هذا ، فلقد أدركت فجأة أن الخيوط كلها تلتقى عندك ، وتشير إليك بشدة ، وهذا يبدأ فى عبارة قالها (رمزى) ، وهو يشير إلى أن حجم الأعين لايتناسب مع التكوين العام لجسم الآلى .. والواقع أننى لم أنتبه إلى هذا الأمر فى حينه ، عندما سمعته من (نشوى) ، ولكن

فجأة راحت هذه العبارة بالذات تتردد فى ذهنى ، وربما هى التى قادتنى إلى الحل كله ، فالمنطق هنا يقول إن عدم التناسب يعود إلى أن الشخص الذى يرتدى الزى الآلى ، أصغر حجمًا من الزى نفسه ، وكان هذا ينطبق عليك فى شدة ، مع خبرتك فى التنويم المغنطيسى ، وكون الجميع يتعالجون عندك نفسيًا ، وعلى الرغم من هذا فلم تكن هذه هى النقطة التى حسمت قرارى ، وإنما كان هذا بسبب لقائك الأوّل مع (مشيرة) .

عقد (هيثم) حاجبيه وقال :

- لم يكن فى هذا اللقاء مايدين .

ابتسم (نور) وقال :

- هذا ماتتصوّره أنت ، ولكن هل نسيت كيف أصيبت (مشيرة) بفزع مبهم ، عندما وقعت عيناها عليك لأوّل مرة ، على الرغم من أنه لم يكن بك ما يفزع ؟.. لقد انتبهت فجأة إلى أن السبب الرئيسى لفزعها ينبع من عقلها الباطن ، لا من عقلها الواعى ، فلقد وقعت عيناها على عينيك ، وأدرك عقلها الباطن فورًا أن هذه هى العيون نفسها ، التى رأتها داخل الرداء الآلى ، وليست عينى (أكرم) ، كما أوحيت أنت إليها ، عندما نوّمتها مغنطيسيًا ، فى شبكة أنباء الفيديو .. هذا هو الذى أصابها بالفزع فى البداية ، بتلقائية شديدة ، ثم أصابتها الحيرة بعد هذا من فزعها ، عندما سيطر عقلها الواعى على الموقف .

قال (هيثم) فى سخرية :

- رائع أيها الرائد .. إنك تجيد التحليل النفسى على نحو جيد ، ولكن هذا لن يجعلك أفضل منى ، فى هذا المجال .

قال (نور) فى صرامة :

ـ ولكنه كان يكفى للايقاع بك .

هتف (هيثم) :

ـ الايقاع بى ؟!

ثم أطلق ضحكة ساخرة مجلجلة ، قبل أن يستطرد :

ـ من الواضح أنك لم تقدّرنى حق قدرى أيها الرائد .

لم يفهم (نور) مايعنيه (هيثم) ، حتى هتف هذا الأخير فجأة :

ـ طوارىء .

لم يكد ينطق كلمته ، حتى تجمّدت نظرات رجال الأمن الثلاثة ومديرهم ، وارتفعت فوهات مسدساتهم فى حركة حادة متحفزة متوترة نحو (نور) ، فى حين أطلق (هيثم) ضحكة أكثر سخرية وارتفاعا ، وهو يقول :

ـ والآن ماذا ستفعل أمام هذا الموقف الجديد .

ولم يدر (نور) حقًا ماينبغى أن يفعل ..

* * *

مضت لحظة ثقيلة من الصمت ، وفوهات الأسلحة الليزرية كلها مصوّبة إلى (نور) ، وشحب وجه (نشوى) فى شدة ، و(هيثم) يواصل :

ـ هيا أيها الرائد .. ليس أمامك سوى أن تطلق سراحى ، وتستسلم لرجال الأمن ، وإلا فسيطلقون الأشعة عليك بلا رحمة ، فهم لايروننا فعليًا الآن ، وإنما يرون رئيس الجمهورية نفسه ، بين يدى جاسوس يهدده ، ولايمكنهم أن يترددوا أمام هذا .

لم يتخل عنه (نور) ، على الرغم من هذا ، وبقى صامتًا ، ينقل بصره بين العيون الجامدة ، ثم استلّ مسدسه بحركة سريعة ، وألصقه بجبهة (هيثم) ، قائلا :

ـ إننى أفضّل قتلك .

قال (هيثم) فى سرعة :

ـ وماذا عن ابنتك ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى أدار أحد الرجال الثلاثة فوهة مسدسه الليزرى ، وألصقه برأس (نشوى) ، التى أطلقت شهقة رعب ، وشحب وجهها فى شدة ، فانعقد حاجبا (نور) فى غضب ، و(هيثم) يقول :

ـ لك أن تختار .. حياتى أو حياة ابنتك .

بدا التوتر الشديد على وجه (نور) ، وهو يتطلع إلى ابنته المرتجفة ، ولكن (نشوى) استجمعت شجاعتها ، وقالت :

ـ لاتتردد يا أبى .. إنها حياته أو حياة (مصر) كلها .. إنه طاغية جديد يولد ، فلا تسمح له بالطغيان .. اقتله يا أبى .. اقتله حتى ولو كانت حياتى هى الثمن .

قال (هيثم) ساخرًا :

ـ ياله من مشهد مؤثر !

صاح به (نور) :

ـ اصمت .

ثم أدار فوهة مسدسه الليزرى فى سرعة ، وأطلق أشعته على يد الرجل ، الذى يصوّب مسدسه إلى ابنته ، فسقط المسدس من يد الرجل ، وصاح (نور) ، وهو يجذب (هيثم) إليه :

ـ الحجرة السرية يا (نشوى) .

أدركت ابنته مايعنيه بالضبط ، فتراجعت بحركة حادة ، وركلت الرجل فى معدته ، ثم أغلقت باب الحجرة فى عنف ، فى حين أدار (نور) فوهة مسدسه مرة أخرى ، وأطلق أشعته على مسدس الرجل الثانى ، وهو يقول لـ(هيثم) فى سخرية :

- أخطأت هذه المرة أيضًا أيها الوغد ، فالفكرة التى زرعها التنويم المغنطيسى فى عقولهم ، هى التى ستحمينى ، فلن يجرؤ أحدهم على إطلاق النار على جسدك ، الذى أحتمى به ، ماداموا يرونك فى هيئة رئيس الجمهورية ، وهذا يعنى أن ..

ولكن (نور) لم يكمل عبارته ..

لقد هوت على مؤخرة عنقه ضربة عنيفة ، جعلته يتخلى عن (هيثم) مرغمًا ، ويسقط أرضًا ..

وفى ذعر تطلعت (جيهان) إلى التمثال الذى تحمله ، هاتفة :

- ماذا فعلت ؟.. ما الذى جعلتنى أفعله ؟

أجابها فى سخرية :

- مالم يتوقعه هذا العبقرى .. تدخلك المباشر يا عزيزتى ؟

صاحت فى ذعر :

- لماذا جعلتنى أفعل هذا ؟.. لماذا ؟

صرخ :

- إننى أحبك .. أحبك .. لقد فعلت كل هذا من أجلك .

صاحت فى ارتياع :

- تحبنى ؟!.. كلا .. إنك تستغلنى .. لقد دفعتنى لفعل الكثير ، على الرغم منى ، ثم حاولت إيهامى بأننى مصابة

بانفصام فى الشخصية .. إنك حقير .. حقير .

استمع (نور) إلى هذا الحديث ، ورأسه يقاوم غيبوبة عميقة .

كان من المحتم أن يقاومها ، حتى يمنع (هيثم) من الفرار ؛ فلو ارتدى زى الآلى لضاعت الفرصة الوحيدة للإيقاع به ..

لن ينجح مخلوق واحد فى اصطياده بعد هذا ..

سيفلت إلى الأبد ..

وسيبدأ عهد طغيان جديد .

وفى صعوبة ، حاول (نور) أن ينهض ، ولكن رجال الأمن الخاضعين للتنويم المغنطيسى أطبقوا عليه ، وكبلوا حركته ، فى حين صاح (هيثم) فى (جيهان) :

- هيا بنا .. سنناقش هذا فيما بعد .. المهم أن أرتدى الزى ، الذى أحتفظ به فى حجرتك ، قبل أن تصل الإمدادات ، التى لابد أنها ستلحق به بعد قليل ، مادام قد كشف أمرى قبل وصوله .

انتزعت يدها من يده ، صارخة :

- اتركنى .. اتركنى ..

تراجع مبهوتًا ، ثم هتف فى غضب :

- ستندمين . ستندمين حتمًا .

ثم انطلق مغادرًا الحجرة ، فصاح (نور) :

- امنعوه .. لاتسمحوا له بالفرار .. سيضيع كل شىء لو هرب .

ولكن رجال الأمن تشبثوا به فى استماتة ، فاندفعت

(جيهان) نحوهم صارخة :

ـ اتركوه .. اتركوه .

وهوت على رأس أحد الحراس بالتمثال الثقيل ، ثم ضربت به وجه الثاني ، فتحرَّك (نور) في سرعة ، مستغلاً تلك الفرصة ، وهوى على فك الثالث بلكمة قوية ، ثم تملَّص من بين يديه ، وانطلق يعدو خارج الحجرة ، وهو يلتقط مسدسه الليزري ..

وبكل سرعته ، راح يركض عبر الممرات ، حتى بلغ حجرة (جيهان) ، فحطم رتاجها بطلقة من مسدسه ، ودفع الباب بقدمه ، واندفع داخلها ، و..

وتوقَّف على نحو حاد ..

فأمامه .. أمامه مباشرة كان يقف (هيثم) ، ولكن .. في زي الآلي .

* * *

١٠ ـ الصراع الأخير ..

في اللحظة التي دخل فيها (نور) حجرة مكتب الدكتورة (جيهان) ، كان (هيثم) قد انتهى من ارتداء زي الآلي ، إلا الخوذة .

كان يهمّ بارتدائها ، عندما صاح به (نور) :

ـ لن أسمح لك .

قالها وهو يطلق أشعة مسدسه نحو الخوذة ، فانتزعتها الطلقة من بين يدي (هيثم) ، وألقتها في ركن الحجرة ، فصاح (هيثم) في غضب :

ـ أنت دفعتني إلى هذا أيها الرائد .

ورفع ذراعه ليطلق أشعة مدفعه الصغير نحو (نور) ، ولكن هذا الأخير قفز جانبًا ، وتفادى طلقة الأشعة ، التي ارتطمت بالجدار ، وحطمت جزءًا منه ، وهو ينقض على (هيثم) ، هاتفًا :

ـ إنك بلا خوذة ، ولن أضيع هذه الفرصة أبدًا .

ثم هوى على فك (هيثم) بلكمة كالقنبلة ، دفعته إلى الخلف ، وجعلته يرتطم بالجدار ، ثم سقط على ظهره فاقد الوعي ..

وهنا أسرع (نور) ينتزع مدفعي الليزر الصغيرين من ذراعيه ، وهو يقول :

ـ أفضل ما نفعله الآن هو أن نجرِّدك من أسلحتك ، ثم ننزع

عنك هذا الزى ، قبل أن تعبث بالقنبلة .

انتهى بسرعة من انتزاع المدفعين ، وألقاهما جانبًا ، ثم هَمّ بنزع الزى الآلى نفسه ، عندما فتح (هيثم) عينيه فجأة ، وقال :

ـ لن أسمح لك أنا أيضًا .

ثم تحرّكت قدمه فى عنف ، داخل الزى الآلى ، وضربت (نور) ضربة قوية فى ظهره ، فسقط على وجهه ، ونهض (هيثم) بسرعة واقفًا ، وهَمّ بالتقاط خوذته ، ولكن (نور) اختطفها فى سرعة ، وطوّح بها من النافذة ، هاتفًا :

ـ لا .. لن تحصل عليها مرة أخرى .

هوت القبضة الآلية على وجه (نور) ، و(هيثم) يقول فى غضب :

ـ أستطيع قتلك دون خوذة .

ارتطم جسد (نور) بالجدار فى عنف ، وشعر بعظام فكه كلها ، وكأنها قد تحوّلت إلى فتات ، ولكنه قاومه فى استماتة ، وقفز واقفًا على قدميه ، وهوى على فك (هيثم) بلكمة أكثر عنفًا ، دون أن ينبس ببنت شفة هذه المرة ..

وتراجع (هيثم) من عنف الضربة ، وتصاعد فى الوقت نفسه صوت البوق المميّز ، لسيارة القوات الخاصة ، فهتف فى حنق وألم :

ـ اللعنة .

ثم انتزع من حزامه جسمًا مستديرًا ، ألقاه فى منتصف الحجرة ، فانفجر بدوى مكتوم ، وتصاعدت منه أبخرة كثيفة ،

ملأت فراغ الحجرة ، وسعل (نور) فى شدة ، ثم شعر بالجسد نصف الآلى يندفع إلى جواره ، متجهًا إلى النافذة ، فاندفع خلفه ، هاتفًا فى حزم :

ـ لن تهرب هذه المرة .

تشبث بالجسد الآلى ، فى نفس اللحظة التى اشتعل فيها حزام الطيران ، وانطلق (هيثم) عبر النافذة إلى الخارج ، حاملًا جسد (نور) معه ..

وفى غضب هادر ، صاح (هيثم) :

ـ أخطأت بحق هذه المرة أيها الرائد .. إننى أستطيع انتزاعك عنوة ، بقوة الزى الآلى ، ثم ألقيك من هذا الارتفاع .

أمسك (نور) شعره فى قوة ، وهو يقول :

ـ حاول ، وسأنتزع رأسك معى .

صرخ (هيثم) :

ـ أنت وغد حقير .

كان ثقلهما معًا يجبره على الهبوط والانخفاض ، فضغط (هيثم) ذراعى (نور) بقبضتيه الآليتين ، وهو يقول فى ثورة :

ـ أتظننى أعجز عن انتزاعك عنوة ؟

هوى (نور) على فكه بلكمتين عنيفتين ، وهو يقول :

ـ المؤكد أننى لن أقف ساكنًا ، فى انتظار هذا .

كانا قد انخفضا كثيرًا ، عندما انغرست الأصابع المعدنية فى ذراعى (نور) ، وأدمتهما ، وأجبرت (نور) على فتح أصابعه ، فانتزعه (هيثم) فى عنف ، وألقاه من ارتفاع ثلاثة أمتار ، وسط الأطلال القديمة ، خلف المستشفى ..

وسقط (نور) على قدميه ، وتدحرج وسط الصخور القديمة ، وشعر بآلام شديدة فى جسده ، وبمرارة هائلة فى حلقه ..

ولكن (هيثم) هبط على مقربة منه ..

كان يبحث عن خوذته وسط الأطلال ، فى توتر وعصبية شديدين ، وهو يعلم أنه لن يستطيع صنع غيرها ، أو العثور على بديل لها ، بعد أن انكشف أمره ، وراح يقول فى حدة :

- اللعنة !.. كل شىء فسد .. كل شىء ضاع بسبب ذلك الرائد .

قاوم (نور) آلامه ، وانقضّ على (هيثم) مرة أخرى ، وهوى على فكه بلكمة عنيفة ، وهو يقول :

- لن أضيع هذه الفرصة أبدًا .

كان (هيثم) يحاول قتاله أيضًا ، ولكن (نور) استغلّ كل مهاراته ومرونته هذه المرة ، وهو يوجّه الضربات إلى (هيثم) ، ويتفادى ضرباته فى الوقت ذاته ..

ولم يعد (هيثم) يستطيع الاحتمال ..

كان (نور) يوجّه كل ضرباته إلى رأسه ..

إلى الجزء البشرى منه ..

وإلى ضعفه ..

وأخيرًا تراجع (هيثم) ، والدماء تسيل من أنفه وفكه ، وقال فى غضب :

- إذن فأنت ترفض إضاعة الفرصة .. ستحصل عليها إذن أيها الرائد .. ستحصل عليها كلها .

ثم ضغط أحد أزرار زيه المعدنى ، مستطردًا :

- هأنذا أشعل القنبلة النووية .

هتف (نور) فى ارتياع :

- يا إلهى !.. هل جننت ؟

قهقه (هيثم) ضاحكًا فى جنون ، وهو يقول :

- سمِّه انتحارًا ، أو جنونًا ، ولكن القنبلة اشتعلت بالفعل ، وبعد سبع دقائق بالضبط سيتحول جسدى إلى قنبلة نووية ، وينفجر ، لينسف معه (القاهرة الجديدة) كلها ، ولا توجد وسيلة واحدة لمنع هذا .

عاد يقهقه فى جنون ، و(نور) يتطلع إليه فى ارتياع مذعور ..

لقد اشتعلت القنبلة ..

وانتهى أمر (القاهرة الجديدة) ..

* * *

لم يكن هناك مجال للتردد ..

أو للتفكير ..

لم يعد من الممكن إيقاف الإنفجار أو منعه ..

ستنفجر القنبلة النووية حتمًا ..

وبسرعة مذهلة عمل عقل (نور) ..

درس الموقف كله فى لمح البصر ..

ثم اتخذ قراره ..

لم يكن القرار متوافقًا مع مبادئه وأفكاره ، وكراهيته للقتل والدمار ..

ولكنه كان حتميًا ..

وفى حزم وصرامة ، رفع (نور) مسدسه ، وصوبه إلى (هيثم) ، الذى قهقه فى جنون ، وقال :

- لم يعد قتلى يفيد كثيرًا أيها الرائد .. القنبلة ستنفجر ، حتى بعد موتى .

ولكن (نور) أطلق الأشعة ..

لم يطلقها على وجه (هيثم) ، وإنما على حزامه ..

حزام الطيران ..

أطلقه على مجموعة أزرار التوجيه ، فأذابها دفعة واحدة ، وقال (هيثم) فى توتر وانزعاج :

- لماذا فعلت هذا؟

اندفع (نور) نحوه ، وجذب ذراع الحزام ، وهو يقول :

- سامحنى .. إنه الحل الوحيد .

اشتعل حزام الطيران ، وكسر (نور) الذراع فى اللحظة نفسها ، فانطلق جسد (هيثم) إلى أعلى ، وهو يصرخ :

- ماذا فعلت؟

ردد (نور) فى ألم خافت :

- سامحنى .

وبأقصى طاقته وسرعته ، راح حزام الطيران يدفع جسد (هيثم) إلى أعلى ، وهو يصرخ فى جنون :

- لا .. لا .. ليس هذا من حقك .

حاول أن يغير اتجاهه ، ويعود إلى الأرض ، ولكن (نور) أفسد أزرار التوجيه ، وأصبح الحزام ينطلق بسرعة رهيبة بالفعل ..

واختنق (هيثم) مع السرعة والارتفاع ..

وهتف بآخر أنفاسه :

- ليس هذا من حقك .

ثم سقط رأسه داخل الجسم المعدنى القوى ، الذى واصل انطلاقه بسرعة كبيرة ، مخترقًا الغلاف الجوى ، ومتجاوزًا إياه ، حتى بلغ الفضاء الخارجى ، و..

وهناك انفجرت القنبلة ..

لم يكن لانفجارها صوت مسموع ..

ولم تصل موجتها الارتجاجية إلى الأرض ..

لقد حجب الفراغ صوتها ، وتقلصت معه قوتها ، ولم يبق منها سوى ضوءها ..

ضوء قوى مبهر ، تألق فى السماء لحظات ، وبدا أشبه بشمس صغيرة ، أضاءت نصف الكرة الأرضية قليلًا ، ثم راحت تتلاشى فى بطء ، مخلفة سحابة كونية ذرية ، امتصها الفضاء تدريجيًا .. ومع تلاشيها تكونت حفنة من المشاعر ، فى قلوب العديدين ، ممن رأوا ماحدث .. البعض شعر بالخوف ..

والبعض الآخر بالدهشة ..

(جيهان) شعرت بحزن لامثيل له ، وبدا لها هذا نهاية لحبها وقلبها وحياتها ..

القائد الأعلى والدكتور (ناظم) شعرا أن المشكلة قد انتهت ..

أما (نور) ..

و(نور) وحده ، فعلى الرغم من المرارة والحزن ، اللذين يملآن قلبه ، فقد كان يشعر أن هذا الانفجار يحمل فى أعماقه الحياة ..
حياة الأرض الجديدة ..

* * *

[تمت بحمد الله]

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف

د. نبيل فاروق

٨٨

الانفجار الحى

- هل يواصل الآلى القاتل صراعه ويستكمل قوته ؟
- لماذا يفعل الآلى كل هذا ، وما الذى يسعى إليه بالضبط ؟
- ترى من يحسم الصراع ، (نور) وفريقه ، أم الآلى صاحب (الانفجار الحى) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وشارك مع (نور) وفريقه فى حل اللغز ..

الثمن فى مصر
١٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : البركان

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع